

المسلم المفيد
الإسلام ديننا
دُروس في الأخلاق
الثالث الثانوي
لجنة المناهج
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



المحتويات

مقدمة لجنة المناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

نظـرًا للحاجة العاجلة إلى مناهج تُلبّي متطلبات مشـاريع التعليم الديني الإسـلامي لجميع المراحل -ابتدائـي، إعـدادي، ثانوي- وفق خطـة التعليم طوال السـنة وبمنهجية المراحل، وهـي حاجةٌ مُلِحَّةٌ لا تحتمـل التأخـير، ونظـرًا إلى أنَّ طبيعة العمل في إنجاز كُتُبٍ دراسـيَّة تُلبّي هذه الحاجة بالصـورة المطلوبـة، والتدقيق اللازم يأخذُ وقتًا طويلاً، فقد ارتأت لجنة المناهج أن تقوم بإعداد هذه السلسـلة بصـورة مؤقتـة، وبعجالة مـن أمرنا قمنا بجمع مـا توفَّر لنا من كُتُـبٍ تعليميَّةٍ وكرّاسـاتٍ من جهاتٍ موثوقة، وقمنا بترتيبها وتقسـيمها واختيار المناسـب منها، والتصرف في النصوص كثيرًا، مع إجراء مراجعة عامة للمحتوى.

فهذه المناهج المؤقتة مستفادة من عدَّةِ مصادر، وهي:

جميع المناهج المطبوعة للمجلس الإسلامي العلمائي في البحرين.

بعض مقرّرات مركز الهدى للدراسات الإسلامية.

بعض كرّاساتِ مشروع تعليم الصلاة والقرآن بقرية الدراز.

بعض مناهج جماعة الهُدى للتعليم في القطيف.

بعض إصدارات مركزِ المعارف للدراسات والبحوث الإسلامية.

تنويه مهم

يرجى من الأساتذة الكرام وإدارات التعليم الديني أن يتفضلوا بموافاتنا بملاحظاتهم واقتراحاتهم؛ لتعديل وتطوير هذه المناهج، وشكرًا.

١

الدرس الأول

تزكية النفس

الدرس الأول

تزكية النفس

الأهداف:

١. أن يتعرّف إلى أهميّة تزكية النفس والحاجة إليها.

٢. أن يحدّد طرق مواجهة الممارسات السيّئة.

٣. أن يحدّد الخطوات العمليّة لتهذيب النفس وتزكيتها.

٤. أن يستذكر ثمار تزكية النفس.

أهمية تزكية النفس

تحتلّ الأخلاق الإسلاميّة مكانة خاصّة في مجموع التعاليم الإسلامية، ولذا جعل الله سبحانه الهدف الأساس من بعثة الأنبياء والرسل تربية الإنسان على الأخلاق الحسنة وهذا ما يؤكّده الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[1].

وفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارِمَ الأخْلاقِ".

إنّ الهدف من بعثة الأنبياء هو تربية الناس على الأخلاق الحسنة.

لماذا تزكية النفس؟

وردت كلمة النفس في القرآن الكريم بصيغ ثلاث: النفس المطمئنّة، والنفس اللوّامة، والنفس الأمّارة بالسوء، ولكنّنا سنقتصر في حديثنا على النفس الأمّارة بالسوء، وهي النفس التي تحوي في داخلها مجموعة من الغرائز والميول والرغبات، التي تؤدّي بصاحبها إلى ارتكاب بعض الذنوب والآثام، ويقع في المعصية. قال تعالى: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ**﴾[2]، وهي النفس التي تأمر على الدوام بالمعاصي والذنوب.

---

(١) آل عمران:١٦٤.

(٢) يوسف:٥٣.

وهــذا ما يوجب على الإنســـان أن يعمل على مواجهــة الرغبات والميول التي تســوّل للنفس، وتزيّن لها بعض الممارسات السيّئة.

كيف نواجه الممارسات السيئة؟

مواجهة الممارسات السيئة تتطلّب اتبّاع خطوات محدّدة تجعل من الإنسان شخصاً قادراً على التحكّم بالميول والرغبات.

وهذه الخطوات تتمثّل بالنقاط التالية:

١. التعرّف إلى محاســن الأخلاق ومساوئها: إنّ الكثير من الأمور قد يرتكبها الإنسان، وهو لا يعرف مدى قبحها، ومضــارّها على نفســه وعلى الآخرين، وهذا ما يجعلــه يبتعد عن الكثير من الآداب الأخلاقيّة نتيجة جهله بها، ولذا لا بدّ له كخطوة أولى في تهذيب النفس من أن يسعى للتعرّف على الأخلاق الحسنة والسيّئة.

٢. التحصّن بالتقوى: إنّ تقوى الله أي الشعور بالخوف من الله عند الإقدام على أيّ عمل، هو الذي يمنع الإنســان من الوقوع في المعصية ويجعله في موقع حصين.وهذا الشعور بالخوف من الله على الدوام لا يتحقّق إلّا بعد تزكية الإنسان لنفسه والاهتمام بذكر الله دائماً، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[٣].

٣. تربية النفس على الإيمان: إنّ العمل على تربية النفس، يستلزم أن يشعر الإنسان بخطورة ما قام بــه، ومــا ارتكبه من ذنوب.قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾[٤].إنّ من أعظم المخاطر التي يقع فيها الإنســان وتُحلّ عليه الغضــب الإلهيّ وتؤدّي به إلى جهنّم، هو أن يرتكب المعاصي من دون أن يشعر بخطر ما فعله أو يتجاهل ويتناسى ما وقع فيه، تاركاً لحبائل الشيطان ودسائسه التكفّل بمنعه من العودة إلى الله.

استنتاج

تتوقّف تزكية النفس على: التعرّف على محاسن الأخلاق ومساوئها، تقوية ملَكَة التقوى، تربية النفس على الإيمان.

---

(٣) الشمس:٧-١٠.

(٤) الأعراف:٢٠١.

في سبيل تزكية النفس

إذا كنّا نؤمن بضرورة السعي لرضا الله عزّ وجلّ، ونسعى لذلك فعلاً، علينا أن نتّبع بعض الخطوات العمليّة التي تفتح الباب لنا أمام ذلك، منها:

١. **السعي لمعرفة الفضائل والرذائل:** كما يسعى الإنسان لمعرفة ما يحيط به وما يحتاج إليه في ترتيب أموره الدنيويّة وأمر معاشه في هذه الحياة، فإنّ عليه أن يسعى لمعرفة ما يحتاج إليه في ترتيب أمور آخرته وأمور معاده. إن لم نقل إنّ أمور الآخرة قد تفوق بأهميّتها أمور الدنيا. وطريق ذلك، أن يتعرّف الإنسان على ما أوجبه الله عليه في تنظيم علاقته بربّه وعلاقته بالآخرين، من والديه، وأصدقائه ومجتمعه.فضلاً عن تعرّفه إلى المحرّمات التي نهى الله عنها، فيما يرتبط بعلاقته بربّه أو بالآخرين.

٢. **تعويد النفس على محاسن الأخلاق:** إنّ التعرف إلى محاسن الأخلاق ومساوئها، لا يكفي بنفسه لكي يتحلّى الإنسان فعلاً بهذه المحاسن، ويتجنّب هذه المساوئ، بل إنّ عليه العمل على تعويد هذه النفس وترويضها شيئاً فشيئاً على ذلك، فإذا ما اعتاد على فعل الطاعات واجتناب المحرّمات، فإنّ ذلك سوف يسهّل له الطريق أمام تزكية النفس. وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: "إنّما هِيَ نَفْسي أُرَوِّضُها بِالتّقوى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوانِبِ المَزْلَقِ"(٥).التفكير في العمل قبل القيام به، يمنع من الوقوع في المعصية.

٣. **التروّي والتفكير:** على الإنسان أن يتروّى ويفكّر في كلّ أمر قبل أن يُقدم عليه. فقد يقدم على عملٍ قبيح نتيجة عدم التفكّر والتروّي والعجلة، فيقع في المعصية، وقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: "التأنّي في الفِعْلِ يُؤَمِّن الخَطَلَ، التَرَوِّي في القولِ يُؤَمِّنُ الزَّلَل"(٦).

٤. **مصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار:** إنّ من العقبات الأساسيّة التي تقف عائقاً أمام النفس وتزكيتها هي رفقة السوء، كما أنّ من أعظم الأسباب المساعدة على التربية والتزكية هي صحبة الأخيار. ولذا ورد في الروايات، النهي عن صحبة الأشرار. فعن الإمام عليّ عليه السلام: "اِحْذَرْ مُجالَسَةَ قَرينِ السّوءِ، فَإِنَّهُ يُهْلِكُ مُقارِنَهَ، وَيُرْدي مُصاحِبَهُ" (٧).كما ورد عنه عليه السلام الحثّ على مصاحبة

(٥) نهج البلاغة، ج٣، ص٧١.

(٦) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، ج٣، ص١٨٣٤.

(٧) م. ن، ج٢، ص١٥٨٣.

العلماء قال: "عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْغَبُ فِي التَّكَثُّرِ مِنَ الأَصْحابِ كَيْفَ لا يَصْحَبُ الْعلَمَاءَ الأَلْبَاءَ الأَتْقِياءَ الَّذينَ يَغْنَمُ فَضائِلَهُمْ، وتُهديهِ عُلُومُهُمْ، وَتُزَيِّنُهُ صُحْبَتُهُمْ"(٨).

٥. **الابتعاد عن موجبات المعاصي:** يقع الإنسان في المعصية بعد إغراء الشيطان للنفس الأمّارة، وهذا ما يوجب على الإنسان الذي يعمل على تربية نفسه وتزكيتها أن يسعى إلى كبح جماح ميوله ورغباته في هذه النفس، لأنّه إذا فتح المجال أمامها، ولو بشكل محدودٍ طلبت المزيد ورغبت في الازدياد، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: "مَثَلُ الدُّنْيا كَمَثَلِ ماءِ الْبَحْرِ كُلَّما شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشانُ ازْدادَ عَطَشاً حَتَّى يَقْتُلَهُ"(٩). فعلى الإنسان أن يبتعد عن المواطن التي توجب القرب من المعاصي.

٦. **اليقظة التامّة:** إنّ ساعة الغفلة هي الساعة التي تجعل الإنسان يقع في المعصية، فالنفس الأمّارة بالسّوء تستغلّ تلك الساعة التي يغفل فيها الإنسان عن الله عزّ وجلّ فتسوّل له ارتكاب المعصية، ففي الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام: "وَيْلٌ لِمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الغَفْلَةُ، فَنَسيَ الرِّحْلَةَ ولَمْ يَسْتَعِدَّ"(١٠).ولذا على الإنسان أن يستعدَّ تماماً للآخرة، ولا ينسى أنّ مصيره الموت والانتقال من هذه الدنيا إلى الآخرة، ففي الرواية: "كم من غافلٍ ينسجُ ثوباً ليلبسه وإنّما هو كفنه، ويبني بيتاً ليسكنه وإنّما هو موضع قبره"(١١).

٧. **اللجوء إلى الله:** على الإنسان أن يطلب من الله عزّ وجلّ أن يعينه على تربية نفسه، فيلجأ إلى الدعاء والتضرّع بأن يمكّنه من التغلّب على النفس الأمّارة، وعلى ما اعتاد ممارسته من المساوئ، ففي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في المناجاة: "إلهي إليكَ أشكو نفساً بالسوءِ أمّارةً، وإلى الخطيئة مبادرةً، وبمعاصيكَ مولعةً،... كثيرةَ العلَلِ، طويلةَ الأمَلِ، إنْ مَسَّها الشَّرُّ تَجْزَع، وإنْ مَسَّها الخيرُ تمنعْ، ميّالةً إلى اللّعبِ واللهوِ، مملوءةً بالغفلةِ والسَّهْوِ، تُسْرِعُ بي إلى الحَوْبَةِ،

(٨) م. ن، ج٢، ص١٥٨٤.

(٩) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٣٦.

(١٠) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، ج٣، ص٢٢٨٢.

(١١) الأمالي، الصدوق، ص١٧٢.

وَتُسَوِّفُني بِالتّوبَةِ"[١٢].

من طرق الاحتراز عن المعاصي. الابتعاد عن المواطن التي يكون الإنسان فيها أقرب إلى المعصية.

ساعة الغفلة، هي الساعة التي يستغلّها الشيطان لكي يغري الإنسان بالمعصية.

ثمار تزكية النفس

إنّ لتربية النفس وتزكيتها آثاراً تنعكس على حياة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة، ومن هذه الآثار:

١. **النجاة والفلاح في الآخرة:** ورد في الآية المباركة ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا**﴾[١٣]، ولا شكّ في أنّ الفلاح في الآخرة يفوق بكثير أيّ نجاح قد يصل إليه الإنسان في هذه الدنيا.

٢. **اكتساب محبة الناس:** وهي من ثمار حسن الخلق الذي ينتج عن تزكية النفس، لأنّ الناس ترغب في لقاء من يتعامل معها بخلق حسن، وفي الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام: "ثلاثٌ يوجِبْنَ المحبَّةَ: حُسْنُ الخُلقِ، وحُسْنُ الرفْقِ، والتَّواضُع"[١٤].

٣. **رضا الله والقرب منه:** وهو أعظم ما يناله من يسعى لتزكية نفسه، وهذا لا يحصل إلّا بعد مجاهدة النفس، فكلّما ارتقى الإنسان في مجاهدة نفسه وتزكيتها كلّما ارتقى درجة في القرب من الله حتّى يصل إلى أعلى مراتب القرب وهي جنّة الرضوان، كما في قوله تعالى: ﴿**رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله أَلا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[١٥].

استنتاج

من ثمار تزكية النفس: النجاة في الآخرة، وكسب محبّة الناس ورضا الله تعالى.

ميزان السلوك

لا بدّ لمن يسعى لتهذيب نفسه وتربيتها من أن يحذر عند العمل من خطر الانحراف عن الطريق القويم في تربية النفس؛ وذلك من خلال اتباع خطوتين:

(١٢) الصحيفة السجّاديّة، الدعاء ٩.

(١٣) الشمس: ٩.

(١٤) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، ج١، ص٤٩٦.

(١٥) المجادلة:٢٢.

١. الرجوع إلى المصادر الأساس لتهذيب النفس والتي تتمثل بالقرآن الكريم، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القرآن: "جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء"(١٦). ثمّ سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما روي من سيرته وحياته، ثمّ الرجوع إلى أهل بيت العصمة والطهارة، فإنَّهم المعين الصافي والمورد العذب الذي يوصل إلى التربية الصحيحة.

٢. الحذر من ارتكاب ما يخالف الشريعة، فإنَّ الكثير من الناس يتَّبع أساليب غير شرعيّة ظنّاً منه أنّ ذلك سيوصله إلى تربية نفسه وتهذيبها، ولذا على من يسعى لتربية نفسه أن يتأمّل في كلِّ عملٍ يقوم به فلا يُرهق جسده أو يعذِّب نفسه باعتقاد أنَّه بذلك يتمكَّن من الوصول إلى تربيتها، ولا يسعى للسقوط من أعين الناس متوهّماً أنّه بذلك يقهر نفسه أو يحطِّم الغرور فيها فإنَّ الله لا يرضى لعبده المؤمن أن يكون ذليلاً.

للمطالعة

جمع الحطب من الصحراء

كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في إحدى سفراتهم، ولمّا نزلوا بأرض جدباء لا نبت فيها ولا ماء، وكانوا قد احتاجوا إلى الحطب فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: "اجمعُوا حطباً"، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض جرداء لا حطب فيها.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: فليأتِ كلّ بما يقدرُ عليه". فشرعَ الصحابةُ يجمعونَ ما يشاهدونَ من أشواكٍ ونباتاتٍ يابسةٍ صغيرةٍ. ثمّ جاءوا به إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فتجمّع من الحطب مقدار كبير. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "هَكَذا تجتمعُ الذنوبُ الصغيرةُ، مِثْلما اجتمعَ هذا الحطبُ"، ثمّ أردف قائلاً: إيّاكُمْ والمحقّراتِ من الذنوبِ فإنّ لكلِّ شيءٍ طالباً ألا وَإنَّ طالِبَها يكتبُ ﴿**مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إمَامٍ مُبِينٍ**﴾(١٧) (١٨).

---

(١٦) نهج البلاغة، ج٢، ص١٧٨.

(١٧) يس: ١٢.

(١٨) انظر: الكافي ج٢، ص ٢٨٨.



٢

الدرس الثاني

مراقبة النفس

الدرس الثاني

مراقبة النفس

الأهداف:

١. أن يحدّد ماهيّة المراقبة والهدف منها.

٢. أن يتبيّن كيفيّة تحقّق الرقابة الإلهيّة.

٣. أن يتعرّف إلى الأساليب التي تقوّي شعورنا بالرقابة الإلهيّة.

٤. أن يستعرض المضارّ الناجمة من إغفال المراقبة (المحاسبة).

٥. أن يستذكر ضرورة الإسراع إلى التوبة.

رضى الله

إنَّ غاية ما يطلبه الإنسان في هذه الدّنيا هو رضى الله عزّ وجلّ عنه، فهو خالقه وبيده أمره كلّه، وفي رضاه الفوز والنجاة، وفي غضبه الخسران.

ورضى الله عزّ وجلّ لا يتحقَّق إلّا بإطاعته في فعل كلِّ ما أَمَر به وترك كلِّ ما نهى عنه.

وقد تدعو النفس الإنسان إلى مخالفة أوامر الله عزّ وجلّ فيقع عندها بين أمرين، طاعة الله أو طاعة الهوى، وهنا يكون الاختبار والامتحان لهذا الإنسانِ.ولذا ورد في وصية لقمان عليه السلام لابنه:يا بُنيَّ من يُرِدْ رضوان الله يُسْخِطْ نفسَهُ كثيراً، ومنْ لا يُسخطُ نفسَهُ لا يُرْضي رَبَّه"(١٩).

يقع الإنسان بين الرغبة في طاعة الله للفوز بالجنّة، وبين النفس التي تدعوه إلى إشباع رغباتها بمعصية الله.

تحقّق الرقابة الإلهيّة

إنّ الوسيلة التي يمكن من خلالها المحافظة على أيّ قانون من القوانين، هو بالرقابة التي تضعها الدولة أو الجهات المسؤولة على الناس لتراقب من يخالف القانون، فينال عقابه.

وقد يتمكّن الإنسان من الإفلات من رقابة الدولة أو الجهات المسؤولة، ولكن هل سأل الإنسان نفسه

---

(١٩) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، المجلسي، ج١٣، ص٤٣٢.

عندما يعصـــي الله، هل يتمكّن من الإفلات من الرقابة الإلهيّة؟قد يتمكّن الإنســان من الإفلات من رقابة الدولة أو الناس، ولكنّه لن يتمكّن من الإفلات من الرقابة الإلهيّة، ولذا فإنّ عليه السعي لمراقبة نفسه.

لا شكَّ في أنّ الجواب عن ذلك هو بالنّفي.قال الله تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا الله إِنَّ الله لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾[20].إذاً، لا يمكن على الإطلاق الإفلات من الرقابة الإلهيّة.

قصة مفيدة

كان هنــاك عالم يفضّــل أحد تلامذته على الآخريــن فلامه التلامذة على ذلك، فـأراد أن يبيّن لهم السبب، فأعطى كلّ واحد منهم طيراً. وقال: "اذبحه في مكانٍ لا يراك فيه أحد".

فجاؤوا كلّهم بطيورهم وقد ذبحوها، فجاء الشابّ بطيره وهو غير مذبوح، فقال له: "لِمَ لَمْ تذبحه؟"، فقال: "لِقَوْلِكَ لا تذبحه إلّا في موضـعٍ لا يراك فيه أحد، ولا يكون مكان إلّا يراني الواحد الأحد الفرد الصمد"، فقال له: "أحسنت"، ثمّ قال لهم: "لهذا رفعته عليكم وميّزته عنكم".

كيف نقوّي شعورنا بالرقابة الإلهيّة؟

لكي نتمكّن من مراقبة أنفسـنا، والوصـول في النهاية إلى مرحلة الحضور بين يدي الله، وعدم الغفلة عن مراقبته لنا ولأعمالنا، لا بدّ أن نقوم بتدريب أنفسـنا وترويضـها، وذلك من خلال إيجاد برنامج مراقبة في كلّ يوم، من الصباح حتّى المساء وأثناء الليل، حيث يحاسب الإنسان نفسه على كلّ ما فعله في النهار. فإذا وجد نفسه أنّه التزم بفعل الواجبات وترك المحرّمات، فليحمد الله تعالى، ويطلب منه التوفيق للاسـتمرار، وإن غلبته نفسـه الأمّارة بالسوء، فليعاتبها عتاباً شـديداً، ويستغفر الله تعالى، وليعقد العزم على المتابعة، ولا ييأس من رحمة الله، فالله سـبحانه لا شـكّ أنّه ينظر بأمره ويوفّقه لما فيه مرضاته. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَلْتَنظُرْ نَفْس مَّا قَدَّمَتْ لِغَد**﴾[21].

---

(٢٠) لقمان: ١٦.

(٢١) الحشر: ١٨.

استنتاج

المطلـوب من الإنســان أن يراقب نفســه على كلّ فعل يقـوم به، وبعد ذلك يحاسـبها فيحمد الله على الطاعة، ويعاتب نفسه على المعصية.

شهود الله على الإنسان

عندما يقدَّم أيّ إنسان متهَّماً بارتكاب جريمة ما، ليحاكم فإنّ أول ما يطلبه القاضي إحضار الشهود للإدلاء بشـهاداتهم على ارتكابه تلك الجريمة. فإذا لم يتوافر الشـهود، لا تتوفّر الأدلّة لإدانة المتّهم، فإنّه يفلت من العقاب.

ولكنّ القضـيّة مختلفة في مسـألة الرقابة الإلهيّة على الإنسـان، حيث لا يتمكّن الإنسان أن يفلت من العقاب الأخرويّ، محتجّاً بعدم وجود الشـهود. لأنّ الله عزّ وجلّ هو الشاهد والرقيب على ما يقوم به الإنسـان، وقد أوكل سـبحانه أمر مراقبته إلى شهود متعدّدين يحصون عليه كلّ فعل يقوم به من خير أو شرٍّ.

قال تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[٢٢]. وقال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه**﴾[٢٣]. ويرتقي الأمر في مراقبة الإنسـان إلى مسـتوى لا تسجّل فيه أعماله وحدها، بل يصـل إلى حدّ الإطلاع على النوايا والخفايا، قال الله تعالى: ﴿**وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[٢٤].

العقاب الإلهيّ

هل يمكن للإنسان الذي ارتكب المعاصي أن يفلت من العقاب الإلهيّ؟ وهل يوجد مكان يتمكّن فيه هذا الإنسان أن يكون بمنأى من عذاب الله؟

لا شكّ في أنّ الجواب هو عدم قدرة الإنسان على الفرار من العقاب الإلهيّ، وهذا ما أكدّته العديد من الآيات: يقول تعالى: ﴿**كَلاَّ إِذَا دُكَّتْ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ**

(٢٢) ق: ١٨.

(٢٣) الزلزلة: ٧-٨.

(٢٤) ق: ١٦.

وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾[25].

مـن الأمـور التي تقوّي الإحسـاس بالرقابـة الإلهيّة، التذكّر المسـتمرّ بأن الإفلات من الشـهود على الأعمال غير ممكن في يوم الجزاء.

هـذا العقـاب الإلهيّ جاء نتيجة لارتكابه المعاصـي، وقيامه بالمنكرات، ولا ينجو مـن هذا العذاب إلا أصـحاب النفوس المطمئنّة الذين وعدهم سـبحانه بالجنّة. وهذا مـا جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾[26].

باب التوبة

يُمْهِـل الله عـزّ وجلّ الإنسـان في هذه الدنيا، ولكنّه لا يهمله، فهو يعطيه فرصـة بعـد أخرى ويفتح له أبواب الرجوع إليه، ويدعوه إلى أن لا يقنط من رحمة الله ولا ييأس من عفوه، حيث أودع الله سبحانه في الإنسان القدرة على ترك الذنوب مهما كانت كبيرة ومتجذرة في نفسه.ووعده بالعفو عنها ان تاب وندم، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[27].

ولكن، ما ينبغي الحذر منه هو التسـويف في التوبة، أو التسـويف في الدخول إلى الطاعات، فكثير من الناس يرى أنّه ما زال في مقتبل العمر، وأنّ بإمكانه أن يتوب غداً أو بعد غد، كما أنّ بإمكانه أن يصلح عندما يتقدّم في السنّ ما فعله أيّام شبابه، ولكن هل يعرف الإنسان مدى العمر الذي سيعيشه؟، وهل يضمن البقاء حيّاً إلى الغد حتّى يقوم بالتسويف؟وهل يضمن التوفيق للتوبة ايضا؟

ولذلـك نجد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يوصـي أحد أصـحابه: "فَتَدارَكْ ما بَقيَ مِنْ عُمْـرِكَ ولا تَقُلْ غداً وَبَعْـدَ غَد، فَإِنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ بِإِقامَتِهِمْ عَلى الأماني والتَّسـويفِ حَتَّى أتاهُمْ أَمْرُ الله بَغْتَةً وَهُمْ غافِلونَ"[28].

---

(٢٥) الفجر: ٢١ إلى ٢٦.

(٢٦) الفجر: ٢٧ إلى ٣٠.

(٢٧) الزمر: ٥٣.

(٢٨) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٣٦.

استنتاج

فتح اللّه لعباده باب التوبة، لتدارك ما ارتكبوه من ذنوب، بشرط أن لا يقع الإنسان في التسويف، لأنّه لا يدري متى يدركه الموت.

للمطالعة

إبراهيم خليل اللّه عليه السلام

عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرج إبراهيم عليه السلام ذات يوم يسير في البلاد ليعتبر فمرّ بفلاة من الأرض فإذا هو برجل قائم يصلّي قد قطع إلى السماء صوته ولباسه شَعر. فوقف عليه إبراهيم وعجب منه وجلس ينتظر فراغه فلمّا طال ذلك عليه حرّكه بيده وقال له: إنّ لي حاجة فخفّف، قال: فخفَّف الرجل وجلس إبراهيم عليه السلام.

فقال له إبراهيم: لمن تصلّي؟

فقال: لإله إبراهيم.

فقال له: ومن إله إبراهيم؟ فقال: الّذي خلقك وخلقني.

فقال له إبراهيم: لقد أعجبني نحوك (طريقتك في العبادة) وأنا أحبّ أن أؤاخيك في اللّه، فأين منزلك إذا أردت زيارتك ولقاءك؟

فقال له الرجل: منزلي خلف النطفة (البحر) - وأشار بيده إلى البحر - وأمّا مصلّاي، فهذا الموضع تُصيبني فيه إذا أردتني إن شاء اللّه.

ثمّ قال الرجل لإبراهيم عليه السلام: لك حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السلام: نعم.

قال: وما هي؟ قال له: تدعو اللّه وأؤمّن على دعائك، أو أدعو أنا وتؤمّن على دعائي.

فقال له الرجل: وفيم تدعو اللّه؟ قال له إبراهيم: للمذنبين المؤمنين، فقال الرجل: لا، فقال إبراهيم: ولم؟

فقال: لأنّي دعوت اللّه منذ ثلاث سنين بدعوة لم أر إجابتها إلى الساعة وأنا أستحيي من اللّه أن أدعوه بدعوة حتّى أعلم أنّه قد أجابني، فقال إبراهيم: وفيما دعوته؟ فقال له الرجل: إنّي لفي مصلّاي هذا ذات يوم إذ مرّ بي غلام أروع، النور يطلع من جبينه، له ذؤابة من خلفه، معه بقر وغنم يسوقها.

قال: فأعجبني ما رأيت منه، فقلت: يا غلام لمن هذه البقر والغنم، فقال: لي، فقلت: ومن أنت؟ فقال:

أنا إسماعيل بن إبراهيم خليل الله.

فدعوت الله عند ذلك وسألته أن يُريني خليله.

فقال له إبراهيم عليه السلام: فأنا إبراهيم خليل الرحمن وذلك الغلام ابني، فقال الرجل عند ذلك: الحمد لله ربّ العالمين، الّذي أجاب دعوتي.

قال: ثمّ قبّل الرجل صفحتي وجه إبراهيم وعانقه، ثمّ قال: الآن فنعم فادع حتّى أؤمّن على دعائك، فدعا إبراهيم للمؤمنين والمؤمنات من يومه ذلك إلى يوم القيامة بالمغفرة والرضى عنهم، وأمّن الرجل على دعائه.

فقال أبو جعفر عليه السلام: فدعوة إبراهيم بالغة للمذنبين المؤمنين من شيعتنا إلى يوم القيامة.[٢٩]

كذب من ادّعى محبّتي

أوحى الله إلى داوود عليه السلام: يا داوود كذب من ادّعى محبّتي، وإذا جنّه الليل نام عنّي، أليس كلّ محبّ يحبّ الخلوة بحبيبه؟!

ولنعم ما قال الشاعر في صفة أهل العبادة وقيام الليل:

إذا ما الليل أظلم كابدوه   فيسفر عنهمُ وهمُ ركوعُ
أطارَ الخوفُ نومَهمُ فقاموا   وأهلُ الأمنِ في الدنيا هجوعُ

(٢٩) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج١٢، ص ٨٢.

٣

الدرس الثالث

الآداب المعنوية العامة للصلاة ١

الدرس الثالث

الآداب المعنوية العامة للصلاة ١

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

١. يبيّن كيفية المحافظة على العبادة من تصرّف الشيطان.

٢. يستنتج أنّ التوجّه إلى عزّ الربوبية وذلّ العبودية من أهمّ آداب العبادة.

٣. يشرح كيف يكون الخشوع شرطاً في العبادة وكيفيّة تحقّقه.

سوف نشرع ابتداءً من هذا الدرس في شرح وبيان الآداب المعنوية للعبادات، ونستهلّها مع الآداب المعنوية العامة للصلاة في هذا الدرس والذي يليه، وفقاً لما أورده إمامنا الخميني قدس سره في كتابه "الآداب المعنوية للصلاة"[٣٠].

مقدمة

في سورة المؤمنون المباركة قُرن الفلاح بعدّة أمورٍ أهمّها الصلاة، التي تبدأ السورة بذكرها أولاً، ثم وبعد ذكر تسع صفاتٍ أساسية للمؤمنين تعود إليها مجدداً ولكن هذه المرة بلحنٍ آخر أشدّ تأكيداً على أهمية هذه الفريضة لما تمتلكه من خصوصيات لا نجدها في غيرها من الفرائض والأحكام. **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ❖ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾**[٣١] إلى قوله تعالى **﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾**[٣٢]. يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره: "قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾** المراد بالمحافظة على الصلاة رعاية صفات كمالها على ما ندب إليه الشرع"[٣٣]. فالمحافظة على الصلاة تبدأ من رعاية شروطها وآدابها الظاهرة منها والباطنة.

---

(٣٠) راجع الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، المقالة الأولى.

(٣١) المؤمنون: ١-٢.

(٣٢) المؤمنون، الآية ٩.

(٣٣) السيد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص١٧.

والملفت في هذه السورة المباركة أنها ذكرت أن الصفة الأولى للمؤمن الحقيقي هي الخشوع في الصلاة، وآخرها المحافظة عليها، فالبدء كان بالصلاة وبها كان الانتهاء، لأنّ الصلاة أهمّ رابطة بين الخالق والمخلوق، وخير وقايةٍ من الذنوب.

"والخلاصة، إنّ الصلاة إن أقيمت على وفق آدابها اللازمة، أصبحت أرضية أمينة لأعمال الخير جميعاً. وجديرٌ بالذكر أنّ الآيتين الأولى والأخيرة تضمّنت كلّ واحدة منها موضوعاً يختلف عن الآخر، فالآية الأولى تضمّنت الصلاة بصورةٍ مفردة، والأخيرة بصورة جماعية. الأولى تضمّنت الخشوع والتوجّه الباطني إلى الله. هذا الخشوع الذي يعتبر جوهر الصلاة، لأنّ له تأثيراً في جميع أعضاء جسم الإنسان، والآية الأخيرة أشارت إلى آداب وشروط صحّة الصلاة من حيث الزمان والمكان والعدد، فأوضحت للمؤمنين الحقيقيين ضرورة مراعاة هذه الآداب والشروط في صلاتهم"(٣٤).

فكما سبق فإن للصلاة شروطاً ظاهريةً وآداباً معنويةً قلبيةً لا بدّ من مراعاتها حتى تثمر هذه العبادة تحقّق عبودية المصلّي للربّ المتعال. ونبدأ بالأدب الأول من الآداب المعنوية العامة:

المحافظة على الصلاة من تصرّف الشيطان

من الآداب المعنوية المهمّة والتي لها دورٌ مهمٌّ في العبادات بشكلٍ عامٍّ والصلاة بشكلٍ خاصٍّ، الحفاظ على العبادة من التصرّفات الشيطانية والأهواء النفسية.

إن للإنسان جسداً وروحاً وقلباً، ولكلٍّ منها غذاؤه المناسب لينمو ويتكامل بشكلٍ صحيحٍ، فللجسد غذاءٌ مادّيٌّ لا يمكن أن ينمو من دونه، ولهذا الغذاء مواصفاتٌ وشروطٌ من الجودة والسلامة لا بدّ منها، كما لا بدّ من خلوّه من كل ما ينافي صحّة الجسد وإلا غدا ضعيفاً معتلّاً لا بدّ من علاجه.

وكذلك للروح والقلب غذاؤهما المناسب لكي يكونا في عافيةٍ وصحّةٍ وسلامةٍ. وغذاء الروح والقلب هو العلوم والمعارف الإلهية والفضائل الأخلاقية والعبادات الشرعية، فبها يتكامل الإنسان ويترقّى في مدارج الرقيّ ومن دونها لا ينال أيّ كمالٍ ممكنٍ.

(٣٤) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٠، ص٤٢٣.

ولهذه الأغذية الروحية من معارف وفضائل وعبادات، شروطٌ ومعايير صحّةٍ لكي تغدو مفيدةً للإنسان، وهي أن تُعدّ بيد أولياء الله وتكون تحت رعايتهم ووفق توجيهاتهم وأن تخلو ممّا يشوبها. فإن فُقدت هذه الشروط وخالط الأغذية ما يشوبها فقدت صلاحيتها وانقلبت فائدتها ضرراً وأصبحت نتيجتها سمّاً على الروح والقلب.

وما ينافي سلامة الأغذية الروحية والقلبية ويشوبها هو التصرّفات الشيطانية والأهواء النفسية. فكم من طلّاب علمٍ لم يستفيدوا من غذاء العلم الإلهي بل ازدادوا في المفاسد الأخلاقية؟!

وكم من أهل العبادة ومن الأفراد الذين سعوا في تصفية أنفسهم وتزيينها بفضائل الأخلاق فانتهت بهم جهودهم إلى العجب والتكبّر وسوء الظنّ بعباد الله.. إلى غير ذلك من الظلمات النفسية؟!

ولم يكن ذلك سوى بسبب أن تعلّمهم وعباداتهم وسعيهم لتزكية أنفسهم كان مشوباً بأهواء النفس وتصرّفات الشيطان اللعين ولم يتناولوا الأغذية الروحية والقلبية المناسبة الخالصة من كل رجسٍ ودنسٍ، والمعجونة بيد أولياء الله عزّ وجلّ.

وهنا يتّضح لنا أهمية سلامة العبادة من تصرّفات الشيطان وأهواء النفس الأمّارة باعتبار أن العبادة وأداء المناسك والعبادات الإلهية هي أحد الأغذية المعنوية المهمّة للروح والقلب.

كيف يسلم الغذاء الروحي من التصرّفات الشيطانية وأهواء النفس الأمّارة؟

من الأمور المهمّة في المساعدة على سلامة الغذاء الروحي والقلبي وصفائه من التصرّفات الشيطانية ما يلي:

١. ينبغي أن يكون الغذاء الروحي مأخوذاً من النبع الصافي للإسلام وهذا النبع هو: الرسول محمد وآل بيته (صلوات الله عليه وعليهم).
٢. أن يكون الإنسان في سلوكه طالبا لله، ويضع حب النفس وعبادتها الذي هو منشأ المفاسد كلّها وأمّ الأمراض الباطنية تحت قدميه. وبغير ذلك لا يحصل الخلاص من تصرّف الشيطان الذي هو مقدّمةٌ للإخلاص بحقيقته.

٣. على الإنســان المؤمن أن لا ييأس من القضــاء على تصرّفات الشيطان، فاليأس من روح الله رأس كل برودةٍ وفتورٍ ومن الكبائر.

٤. على الإنســان أن يواظب بكمال المواظبة والدقّة على حاله كطبيبٍ رفيقٍ ورقيبٍ شـفيق، وأن يفتّش بالدقّة عن عيوب مسـيره وسـلوكه إلى الله تعالى، وأن لا يخلّي نفســه على رسـلها آناً ما، فربما يسقط في الهاوية في لحظة غفلة.

٥. على الســالك إلى الله اللجوء إلى الربّ الرحيم في خلواته والتضرّع والاستكانة إليه، فإنه بحاجة إليه وإلى توفيقه في سلوكه المعنوي بل في جميع شؤونه.

الخشوع

يقـول الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ❖ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾[٣٥]. من الآداب العامّة اللازمة في الصـلاة وغيرها من العبادات الخشـوع، وهو يعني، الخضـوع التام للحق تعالى الممزوج بالحـب لـه أو الخوف منه جـلّ وعلا. وهو يحصـل من إدراك عظمـة الجلال والجمال وسـطوتهما وهيبتهما.

أما لماذا يكون الخضوع ممزوجاً تارةً بالحب وأخرى بالخوف؟ السبب في ذلك أن القلوب السالكة إلى الله تعالى بحسب الفطرة مختلفة، فمنها عشقيٌّ ومن مظاهر الجمال وتكون مفطورةً على التوجّه إلى جمـال المحبوب، وهي تدرك على الدوام الجمال في الأشـياء وتدرك أصـله في جمال الجميل المطلق، فأصحاب هذه القلوب تغشاهم هيبة الجمال وعظمته ويأخذهم الخشوع حيال جمال المحبوب.
وبعضـ القلـوب خوفيٌّ، ومن مظاهـر الجلال، وهي تدرك علـى الدوام العظمـة والكبرياء والجلال، وخشـوعها يكون من الخوف، ومن تجلّي الأسماء القهرية والجلالية عليها، كما كان حال النبي يحيى على نبيّنا وآله عليهم السلام.
فالخشـوع يكـون ممزوجا تـارةً بالحب وأخرى بالخوف والوحشـة، مـع الالتفات إلى أنـه في كل حبٍّ وحشة، وفي كل خوفٍ حبّ.

---

(٣٥) المؤمنون:١-٢.

كيفية تحصيل الخشوع

من أجل تحصيل الخشوع في العبادات ولا سيّما في الصلاة لا بدّ للعابد من سلوك طريق العلم والإيمان، فإن كان الخشوع ناتجاً عن إدراك عظمة العظيم المطلق وهيمنة هذه العظمة على قلب الإنسان سواء كان قلبه عشقيّاً أم خوفيّاً، فإن إدراك هذه العظمة لمن هم أمثالنا يتأتّى عن طريق العلم بها وإيصال هذا العلم إلى القلب لتحقيق الإيمان بها.

ومن المعلوم أن الإيمان هو غير العلم، فهناك فرقٌ بينهما. والدليل على ذلك أن الشيطان كما يشهد له الله تعالى عالمٌ بالمبدأ والمعاد ومع ذلك فهو كافر، لأنه يقول: ﴿**خَلَقْتَني من نَّار وَخَلَقْتَهُ من طين**﴾[٣٦] فهو إذاً يعترف بالحق تعالى وخالقيته، ويقول أيضاً: ﴿**قَالَ فَأَنظرْني إلَى يَوْم يُبْعَثُونَ**﴾[٣٧] فيعتقد بالمعاد، وهو كذلك عالمٌ بالكتب والرسل والملائكة، ومع ذلك كله خاطبه الله سبحانه بلفظ الكافر.

فإذاً، يمتاز أهل العلم من أهل الإيمان فليسوا سواء، إذ أن العلم بمفرده لا يوجد خشوعاً في القلب، وكلّ فردٍ يدرك ذلك، فمع كوننا معتقدين بالمبدأ والمعاد، ومع اعتقادنا بعظمة الله وجلاله وجماله فإننا لا نتذوّق طعم الخشوع في قلوبنا. وما ذلك إلا لأن ما اعتقد به العقل لم يصل إلى القلب ولم ينطوِ على الإيمان به.

ومع أننا نصلّي كلّ يوم خمس مرات ومنذ سنين عديدةٍ من عمرنا، إلّا أننا لم نستشعر الخشوع في صلاتنا رغم أن الله تعالى يقول في كتابه المجيد مادحاً المؤمنين: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمنُونَ ❖ الَّذينَ هُمْ في صَلَاتهمْ خَاشعُونَ**﴾ فجعل الخشوع في الصلاة من حدود الإيمان وعلائمه. فمن لم يكن خاشعاً في الصلاة فهو خارج زمرة أهل الإيمان طبقاً لما قاله ذات الحق المقدس تعالى شأنه.

وعن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال "إِذَا كُنْتَ دَخَلْتَ فِي صَلَاتِكَ فَعَلَيْكَ بِالتَّخَشُّعِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى صَلَاتِكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿**الَّذينَ هُمْ في صَلَاتهمْ خَاشعُونَ**﴾"[٣٨].

وبما أن صلواتنا ليست مشفوعةً بالخشوع، فإن ذلك ناجمٌ إمّا من نقصٍ في إيماننا أو فقدانه. فالعلم

(٣٦) سورة الأعراف، الآية ١٢.

(٣٧) سورة الأعراف، الآية ١٤.

(٣٨) الشيخ الكليني، الكافي، ج٣، ص٣٠٠.

بالله وأسمائه وصفاته وسائر المعارف الإلهية الظاهر منا، مغايرٌ لواقع إيماننا.

من هنا نستنتج أنه لتحصيل الخشوع في الصلاة ينبغي لنا أن نعمل على تحقيق الإيمان في ما نعتقد به عقلاً، ويمكننا أن نختصر خطوات تحقيق الخشوع على النحو التالي:

خطوات تحصيل الخشوع

١. على العابد أن يحصّل الخشوع بنور العلم أي أن يتعرّف إلى العقائد الحقّة المتعلّقة بالله تعالى وأسمائه وصفاته، والتي توجب الاعتقاد بكونه صاحب العظمة المطلقة التي لا تقارن بعظمة أيّ عظيمٍ في هذا العالم مهما علا شأنه، وتستوجب بالتالي الاعتقاد بأنه الوحيد الذي يستحقّ الخضوع والذي لا يمكننا الحضور في محضره إلا ونحن مغمورون بحالة الخشوع بشكلٍ حتميٍّ وتلقائيٍّ، حيث إن هذه هي الحالة النفسية الطبيعية التي ترافقنا حين الحضور لدى شخصٍ نعتقد بعظمته.

٢. على العابد أن يذكّر القلب على الدوام بالعقائد الحقّة وبعظمة الله ويعمل بمقتضى هذه الاعتقادات حتى يؤمن القلب بهذه الحقائق ويدخل الخشوع شيئاً فشيئاً إلى قلبه.

٣. على السالك أن يدرك أنه لن يتمكّن بدايةً من تحصيل حالة الخشوع في جميع صلاته من أوّلها إلى آخرها ولذلك عليه أن لا ييأس بل أن يفهم أن الأمر ممكنٌ جدّاً مع الممارسة والمجاهدة القلبية.

٤. كما عليه أن يعلم أن تحصيل الخشوع لا يكون بالفتور بل يحتاج إلى جدٍّ، وكلّما كان المطلوب أعظم – وهو القرب من الله – فهو أحرى بالجد. لذلك عليه بالمثابرة فهو وإن شعر بالضيق في بداية طريق سعيه إلى الصلاة وامتلاك حالة الخشوع، إلا أنه وبعد مدّة يحصل له الأنس بها واللذّة التي لا تقاس بها لذّات هذه الدّنيا.

٥. على السالك أن لا يقنع بما وصل إليه بل عليه أن يطلب المزيد دائماً ويعتبر نفسه ناقصاً فلا يُبتلى بالعجب.

المفاهيم الرئيسة

١. إن للصلاة شروطاً ظاهريةً وآداباً معنويةً قلبيةً لا بدّ من مراعاتها حتى تثمر هذه العبادة تحقّق عبودية المصلّي للربّ المتعال.

٢. مـن الآداب المعنويـة المهمّة والتي لها دورٌ مهمٌّ في العبادات بشـكلٍ عامٍّ والصـلاة بشـكلٍ خاصٍّ، الحفاظ على العبادة من التصرّفات الشيطانية والأهواء النفسية.

٣. هناك عدّة أمور مسـاعدة لتسـلم الأغذية الروحية من التصرّفات الشيطانية والأهواء النفسية: أن تكون مأخوذةً من النبع الصـافي للإسـلام، أن يكون الإنسان في سلوكه طالباً لله، أن لا ييأس من القضـاء على تصـرّفات الشـيطان، أن لا يخلّي نفسـه على رسـلها آناً ما، أن يلجأ إلى الربّ الرحيم في خلواته لنيل توفيقه في سلوكه المعنوي.

٤. التوجّه إلى عز الربوبية وذلّ العبودية أحد أهم آداب العبادات ومنها عبادة الصلاة، بل هو أدبٌ لازمٌ لرحلة الإنسان المعنوية بأسرها فلا يستقيم سيرٌ أو سلوكٌ من دونه.

٥. كلّمـا قوي في النفس الشـعور بذلّ العبودية وعـزّ الربوبية زادت الروحانية في العبادة كالصـلاة وغيرها، وأدرك الإنسان حقيقة العبودية وسرّ العبادة.

٦. من الآداب العامّة اللازمة في الصـلاة وغيرها من العبادات الخشـوع، وهو يعني، الخضوع التام للحق تعالى المزوج بالحب له أو الخوف منه جلّ وعلا.

٧. لتحصـيل الخشـوع في الصـلاة ينبغي لنا أن نعمل على تحقيق الإيمان في ما نعتقد به عقلاً من المعارف الإلهية.

٨. هناك خطوات عدّة لتحصـيل الخشـوع: التعرّف إلى العقائد الحقّة المتعلّقة بالله تعالى وأسمائه وصفاته، وتذكير القلب على الدوام بها والعمل بمقتضاها، عدم اليأس من تحصيل حالة الخشوع الممكن جدّاً مع الممارسـة والمجاهدة القلبية والجد والمثابرة، وعلى السـالك أن لا يقنع بما وصـل إليه بل عليه أن يطلب المزيد دائماً ويعتبر نفسه ناقصاً فلا يُبتلى بالعجب.

أسئلة الدرس

ضع إشارة ✓ أو ✗ في المكان المناسب:

١. (   ) إنّ للصلاة شروطاً ظاهريةً وآداباً معنويةً قلبيةً لا بدّ من مراعاتها لكي تحقّق عبودية المصلّي لله تعالى.

٢. (   ) الحفاظ على العبادة من التصرّفات الشيطانية والأهواء النفسية لا دور مهماً له في العبادات.

٣. (   ) غذاء الروح والقلب هو العلوم والمعارف الإلهية والفضائل الأخلاقية والعبادات الشرعية.

٤. (   ) بقاء العلوم والمعارف الإلهية تحت يد أولياء الله وبُعدها عن التصرّفات الشيطانية والأهواء النفسية يفقدها صلاحيتها الروحية والمؤثّرة في سلوك العابد.

٥. (   ) لتسلم الأغذية الروحية من التصرّفات الشيطانية والأهواء النفسية يجب أن تأخذ من النبع الصافي للإسلام وهو القرآن الكريم.

٦. (   ) أدب التوجّه الدائم إلى عزّ الربوبية وذلّ العبودية في العبادات أدبٌ لازمٌ لرحلة الإنسان المعنوية.

٧. (   ) كلّما ضعف في النفس الشعور بذلّ العبودية وعزّ الربوبية أدرك الإنسان حقيقة العبودية وسرّ العبادة.

٨. (   ) الخشوع يعني الخضوع التام للحقّ تعالى المزوج بالحبّ له أو الخوف منه جلّ وعلا.

٩. (   ) الخشوع حالة روحيّة يحصل عليها السالك مباشرة من دون الحاجة إلى الممارسة والمجاهدة القلبية.

١٠. (   ) التعرّف إلى العقائد الحقّة المتعلّقة بالله تعالى وأسمائه وصفاته، وتذكير القلب على الدوام بها والعمل بمقتضاها خطوة أولى في طريق تحصيل الخشوع.

للمطالعة

في بيان أنّ العلم يغاير الإيمان

اعلم أنّ الإيمان غير العلم بالله ووحدانيته وسائر الصفات الكمالية الثبوتية والجلالية السلبية، والعلم بالملائكة والرسل والكتب ويوم القيامة. وما أكثر من يكون له هذا العلم ولكنه ليس بمؤمن. الشيطان عالم بجميع هذه المراتب بقدر علمنا وعلمكم، ولكنه كافر. بل إن الإيمان عمل قلبي، وما لم يكن ذلك فليس هناك إيمان. فعلى الشخص الذي علم بشيءٍ عن طريق الدليل العقلي أو ضروريات الأديان، أن يسلّم لذلك قلبه أيضاً، وأن يؤدّي العمل القلبي الذي هو نحوٌ من التسليم والخضوع، ونوع من التقبل والاستسلام - عليه أن يؤدي ذلك - لكي يصبح مؤمناً.

وكمال الإيمان هو الاطمئنان. فإذا قوي نور الإيمان تبعه حصول الاطمئنان في القلب، وجميع هذه الأمور هي غير العلم. فمن الممكن أن يدرك العقل بالدليل شيئاً لكنّ القلب لم يسلم بعد، فيكون العلم بلا فائدة. مثلاً أنتم أدركتم بعقولكم أن الميت لا يستطيع أن يضرّ أحداً، وأن جميع الأموات في العالم ليس لهم حس ولا حركة بقدر ذبابة، وأن جميع القوى الجسمانية والنفسانية قد فارقته ولكن حيث إن القلب لم يتقبّل هذا الأمر ولم يسلم أمره للعقل، فإنكم لا تقدرون على مبيت ليلةٍ مظلمةٍ واحدةٍ مع ميت!!

وأما إذا سلّم القلب أمره للعقل، وتقبّل هذا الحكم منه، فلن يكون في هذا العمل - أي المبيت مع الميت - أي إِشكال بالنسبة إليكم، كما أنه وبعد عدّة مرات من الإقدام، يصبح القلب مسلّماً، فلن يبقى عنده بعدها بأس أو خوف من الميت.

إذاً، أصبح معلوماً أن التسليم – وهو من حظ القلب – غير العلم الذي هو من حظ العقل[٣٩].

(٣٩) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، الحديث الثاني: الرياء.

٤

الدرس الرابع

الآداب المعنوية العامة للصلاة ٢

الدرس الرابع

الآداب المعنوية العامة للصلاة ٢

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

١. يبيّن كيف تكون الطمأنينة شرطاً من شروط الصلاة المعنوية.

٢. يستدلّ على أنّ النشاط والبهجة من الشروط الأساسية للصلاة المعنوية.

٣. يوضح أنّ التفهيم من شروط الصلاة المعنوية وكيفية تحقّقه.

نتابع بيان الآداب المعنوية العامّة للصلاة وفقاً لما أورده إمامنا الخميني قدس سره في كتابه "الآداب المعنوية للصلاة"[٤٠]، ونصل الى الأدب الرابع منها وهو أدب الطمأنينة:

أدب الطمأنينة

من الآداب المعنوية الهامّة للعبادات - ولا سيّما التي يطغى فيها طابع الذِّكر كالصلاة - أدب الطمأنينة. وأداء الصلاة أو أي عبادة أخرى بحال الطمأنينة يعني أن يؤدّيها العابد وهو في حالٍ من سكينة القلب واطمئنان البال.

وهذا يعني أن يكون قلب الإنسان هادئاً مطمئناً غير مضطربٍ لأي سببٍ من الأسباب، وساكناً غير متزلزلٍ بأي عاملٍ من العوامل. أمّا لماذا يعتبر هذا الأدب في غاية الأهمية وما هي فائدته بالنسبة للعبادة؟

لنجيب عن هذا السؤال علينا أن ندرك أولاً أن القلب هو مركز التأثّر في الإنسان وهو المستهدف من العبادة، فهو المقصود منها وهو الذي تروم العبادة تغييره وتشكيله على صورة العبودية وجعله منفعلاً بها ومتّحداً بحقيقتها. فإذا ما تمّ للقلب هذا الأمر وأصبح عابداً حقيقياً وتمكّنت العبادة منه غدا

(٤٠) راجع الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، المقالة الأولى.

جميع وجود الإنسان عابداً لله تعالى.

فإن القلب هو أمير البدن وهو مركز الباطن أيضاً وصورة الباطن تتشكّل بحسب حقيقة القلب وصورته، والجوارح الخارجية للإنسان إنّما تتحرّك بإمرة القلب وبحسبه.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: "...إنّ الله تعالى ما فرض الإيمان على جارحة من جوارح الإنسان إلا وقد وُكِلَتْ بغير ما وُكِلَتْ به الأخرى فمنها قلبه الذي يعقل به ويفقه ويفهم ويحلّ ويعقد ويريد وهو أمير البدن وإمام الجسد الّذي لا تُورَدُ الجوارح ولا تصدر إلّا عن رأيه وأمره ونهيه..."[٤١].

وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن لنا أن نفهم إحدى علل تكرار العبادات كالصلاة اليومية مثلاً، حيث إن تكرارها وترديد أذكارها وإعادة أورادها يهدف إلى زيادة أثرها في قلب الإنسان وتعميقه فينفعل بها ويتّحد بروح العبادة ويسري هذا الأثر إلى كلّ باطنه ثم إلى أعضائه الخارجية، وإلى هذا المعنى أشار الإمام الصادق عليه السلام: "فاجعل قلبك قبلةً للسانك لا تحرّكه إلا بإشارة القلب وموافقة العقل ورضا الإيمان"[٤٢].

فإذا كان هذا هو الواقع فيمكن لنا أن نستنتج أهمّية كون القلب في حالٍ من الطمأنينة عند العبادة، لأن القلب المتزلزل المضطرب لا يمكن له أن ينفعل بالعبادة مهما بلغت وعظمت.

ويمكننا لتوضيح الصورة أن نشبّه القلب المتزلزل بالأرض المهتزّة والمتزلزلة التي نريد أن نشيد فيها بنياناً، فهل يمكننا ذلك في هذه الحال من الاضطراب والاهتزاز؟ أم أن جميع جهود البناء وكلّ الموارد والمواد التي سنستثمرها سوف تذهب سدىً وكأنها هباءٌ منثور؟ إن الحلّ الوحيد لهذه المشكلة يكمن في البحث عن أرضٍ ثابتةٍ صلبةٍ تثمر فيها جهودنا بنياناً مرصوصاً.

والأمر سيّان بالنسبة للقلب فلكي ينفعل ويتأثّر بالعبادة وتؤتي فيه العبادة أكلها لا بد من أن يكون ساكناً، هادئاً ومطمئناً فينتقل هذا الأثر بالتدريج وعلى أثر تكرار العبادة من القلب إلى الجوارح

---

(٤١) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٦، ص٧٤. وعن محمّد بن سنان عن بعض أصحاب عن الإمام الصادق عليه السلام: "قال سمعته يقول لرجل اعلم يا فلان إنّ منزلة القلب من الجسد بمنزلة الإمام من النّاس الواجب الطّاعة عليهم ألا ترى أنَ جميع جوارح الجسد شرط للقلب وتراجمة له مُؤَدّية عنه، الأذنان والعينان والأنف واليدان والرّجلان والفرج، فإنّ القلب إذا همَ بالنَظر فتح الرَجل عينيه، وإذا همَ بالاستماع حرَك أذنيه وفتح مسامعه فسمع، وإذا همَ القلب بالشّم استنشق بأنفه فأدّى تلك الرّائحة إلى القلب، وإذا همَ بالنّطق تكلّم باللّسان، وإذا همَ بالحركة سعت الرجلان، وإذا همَ بالشّهوة تحرَك الذّكر، فهذه كلُها مؤدّية عن القلب بالتّحريك وكذا ينبغي للإمام أن يطاع للأمر منه" العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٨، ص٢٥٠.

(٤٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل،ج٥،ص٣٩٧.

ويظهر عليها.

ومثالٌ على ذلك ترديد الذكر الشريف: "لا إله إلا الله" فإذا قاله إنسانٌ مع سكينةٍ في قلبه وباطمئنانٍ من لبّه وراح يعلّم القلب هذا الذكر الشريف، حينئذ يتعلّمه القلب ويتكلّم به شيئاً فشيئاً ويلهج به، ثم يعقب ذلك أن يتبع اللسان الظاهر القلب في ذكره وينقاد خلفه في ترديده.

أما إذا ردّد الإنسان نفس هذا الذكر الشريف بلا سكونٍ في القلب ولا طمأنينةٍ منه ومع عجلةٍ واضطرابٍ وتشتّتٍ، فلن يحصل منه أيّ تأثيرٍ فيه ولن يتجاوز الذّكر حدّ اللّسان والسمع الظاهريين إلى اللسان والسمع الباطنيين الإنسانيين، ولا تتحقّق حقيقته في باطن القلب، ولا يصير صورةً كماليةً له غير ممكنة الزوال. ومن هنا يتّضح لنا أهمية أدب الطمأنينة في تحقيق العبادات لأهدافها ولا سيّما الصلاة.

النشاط والبهجة في العبادة

ومن الآداب القلبية للصلاة وسائر العبادات كما له نتائج حسنةٌ في التكامل الروحي، أن يجتهد الإنسان السالك إلى الله بقدم العبودية في أن تكون عبادته مصحوبةً بنشاطٍ وبهجةٍ في قلبه وفرحٍ وانبساطٍ في خاطره، وأن يحترز احترازاً شديداً من الإتيان بالعبادة مع الكسل وإدبار النفس. لأنه إذا أجبر النفس على العبادة حين الكسل والتعب، فسيحصد آثاراً سيئةً هي عكس المرجوّ من العبادة.

وقد ذكرنا أن الهدف من العبادة هي انفعال قلب الانسان بها وبتبعه باطنه وصيرورة العبودية صورةً باطنيةً للقلب. فإذا ما أكره إنسانٌ ما نفسه على العبادة فلن يحصل المطلوب. ليس هذا فحسب بل وسيتولّد في نفسه نفورٌ من العبادة وقد ينتج منه في بعض الحالات انصرافٌ تامٌّ عن ذكر الحق وعبادته والعياذ بالله.

والآن نضيف بأن واحدةً من أسرار العبادات ونتائجها المرجوّة هي امتثال القوى الظاهرية والباطنية للإنسان لأحكام القلب وأوامره، وذلك بأن تطيعه وتترك التمرّد والعصيان والأنانية وتذوب إرادتها في إرادته وتتم هزيمة النفس الأمّارة بالسوء فتقوى بالنتيجة إرادة الإنسان. ولكي يحصل هذا الأمر لا بد من أداء العبادة مع بهجةٍ وإقبالٍ ورغبةٍ في نفس العابد، كي تحصل له حالة المحبة والعشق لذكر

الحق ولمقام العبودية، ويحصل له الأنس.

وكما أن الأطباء يعتقدون بأن الطعام إذا أكل في حال السرور والبهجة يكون أسرع في الهضم، كذلك فإن الطب الروحي يشترط بأن يتغذّى الإنسان بالأغذية الروحانية في حالٍ من البهجة والاشتياق، محترزاً عن الكسل والتكلّف حتى تظهر آثارها في القلب والباطن أسرع.

النشاط والبهجة في الكتاب والسنة

وفي القرآن الكريم إشاراتٌ إلى هذا الأدب، فقد قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿**وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالى**﴾(٤٣). وقد فسّرت الآية: ﴿**لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى**﴾(٤٤) بأن المراد من سكارى كسالى.

وفي الروايات الشريفة إشارةٌ أيضاً إلى هذا الأدب، وهذه بعضها:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "يا عليّ إنّ هذا الدّين متين فأوغل فيه برفق ولا تُبَغِّض إلى نفسك عبادة ربّك"(٤٥).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: "لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة"(٤٦).

وهنا حديثٌ مهمٌّ عن العسكري عليه السلام: "إذا نشطت القلوب فأودعوها وإذا نفرت فودّعوها"(٤٧).

فهذا الحديث يشير إلى الإنسان السالك بأن يعامل نفسه برفقٍ ومداراةٍ فيراعي أحوالها من الفتور والنشاط، فلا يكرهها إذا فترت عن العبادة لينفّرها منها، وأن يقبل عليها إذا نشطت.

ونختصر المطلب فنقول على العابد أن لا يحمّل نفسه أكثر من طاقتها وما لا يتناسب مع حالها. بل عليه أن يكون كالطبيب الحاذق فيقيس نبضها ويتعامل معها وفقاً له.

---

(٤٣) سورة التوبة، الآية ٥٤.

(٤٤) سورة النساء، الآية ٤٣.

(٤٥) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٨٧.

(٤٦) م. ن، ص٨٦.

(٤٧) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٦٠.

وهذا الأمر يختصّ بالشباب وبحديثي العهد بالسلوك المعنوي أكثر من غيرهم من الذين تجاوزوا مرحلة الشباب أو قطعوا مراتب في السير والسلوك، فهؤلاء حريٌّ بهم أن لا يرخوا العنان لأنفسهم التي قد تكون اعتادت على الكسل والفتور بل عليهم أن يزيدوا من مجاهداتهم لأنفسهم شيئاً فشيئاً حتى ترتاض وتنصاع لأوامر القلب وتقوى إراداتهم الموافقة لإرادة الله تعالى.

وما ورد في الأحاديث الشريفة من الحثّ على العبادة والمواظبة عليها والجدّ والاجتهاد فيها إنّما هو موجّهٌ إلى هؤلاء.

بينما نجد نوعاً مختلفاً من الأحاديث الموجّهة إلى الشباب حول موضوع العبادة، منها ما ورد في حديثٍ لأبي عبد الله عليه السلام حيث قال: "اجتهدت في العبادة وأنا شابٌّ فقال لي أبي يا بنيّ دون ما أراك تصنع فإن الله عزّ وجلّ إذا أحب عبداً رضي منه اليسير"[٤٨].

وأحد الفروق بين الفئتين إنما يرجع إلى تميّز فترة الشباب باستعار نار الشهوة، فما لم يعامل الشباب أنفسهم بالرفق والمداراة ولم يعطوا أنفسهم حقوقها، فربّما يُطلق عنان الشهوات في أنفسهم بسبب التعرّض للضغط والكبت الزائدين.

ولهذا فإن من الأمور التي تساعد الشاب على العبادة بنشاطٍ وعلى السلوك إلى الله تعالى والقرب منه الزواج، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من تزوّج فقد أحرز نصف دينه"[٤٩].

وليس صحيحاً كبت الإنسان والشاب بالخصوص، لشهوات النفس التي تقتضيها الطبيعة الإنسانية، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: "إن جماعةً من الصحابة كانوا حرّموا على أنفسهم النساء والإفطار بالنهار والنوم بالليل، فأخبرت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج إلى أصحابه فقال: أترغبون عن النساء؟ إني آتي النساء، وآكل بالنهار، وأنام بالليل، فمن رغب عن سنّتي فليس مني، وأنزل الله: **﴿لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ❖ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾**"[٥٠].

---

(٤٨) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٨٧.

(٤٩) م. ن، ج٥، ص٣٢٨.

(٥٠) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٠، ص٢٢.

وإجمالاً فإن الميزان في مراعاة هذا الأدب يكمن في التفات الإنسان إلى أحوال نفسه فيسلك بها بما يناسب قوّتها وضعفها، فإذا كانت قويّةً في العبادات ومقبلةً عليها فعليه أن يجدّ ويجتهد في العبادة. مع ملاحظة الفارق بالنسبة إلى من تجاوز مرحلة الشباب فعليه أن يشمّر عن ساعد الهمّة ويروّض نفسه على العبادة وبالتدريج حتى يحصل له الأنس الذي لا يبدله أصحابه بأيّ شيءٍ من هذا العالم مهما عظمت قيمته.

التفهيم

من الآداب المعنوية في العبادات - وخصوصاً العبادات الذِّكرية - التفهيم، وهو يعني إفهام القلب الأذكار والأوراد وأسرار العبادات وحقائقها، حتى ينفتح لسان القلب بالنطق بها، وهو المطلوب الحقيقي كما أشرنا مراراً في السابق. وهذا الأدب مهمٌّ جداً وخاصّة بالنسبة إلى المبتدئين.

ولكن كيف يتمّ ذلك؟

على الإنسان أن يعامل قلبه في بادئ الأمر كما يعامل طفلاً يتولّى مسؤولية تعليمه النطق، فيعلّمه كلاًّ من الأذكار والأوراد والحقائق وأسرار العبادات بغاية الدقّة والعناية، ويفهمه الحقيقة التي أدركها في كلٍّ منها على قدر مرتبته.

فمثلاً إذا لم يكن في مرتبة فهم معاني القرآن والأذكار وأسرار العبادات فعليه أن يفهم قلبه المعنى الإجمالي الذي باستطاعة أيٍّ كان إدراكه، وهو أن القرآن كلام الله وأن الأذكار مذكِّرات بالحق تعالى والعبادات إطاعة لأمر الربّ.

وأما إن كان في مرتبة فهم المعاني الظاهرية الصورية للقرآن والأذكار، فيفهم قلبه بكل عنايةٍ هذه المعاني الصورية من الوعد والوعيد والأمر والنهي وعلم المبدأ والمعاد بالمقدار الذي أدركه.
وإن كُشفت له حقيقةٌ من حقائق المعارف، أو كُشف له سرٌّ من أسرار العبادات، فيعلّم القلب ذاك المكشوف بجدٍّ واجتهاد. أما النتيجة المرجوّة من أدب التفهيم والتي تعطيه أهمّيته الفائقة فهي أنه بعد مدّةٍ من المواظبة، ينطلق لسان القلب الذي شبّهناه بالطفل المتعلّم للنطق، فيصبح القلب بنفسه ذاكراً ومتذكّراً.

ففي أوّل الأمر كان القلب متعلّماً واللسان الظاهريّ هو أداة المعلّم أي الإنسان صاحب القلب، وكان القلب يتبع اللّسان الظاهري في الذّكر. ولكن عندما يتعلّم القلب الذّكر وينطق لسانه به يصبح الأمر معكوساً، فيكون القلب ذاكراً أوّلاً ويتبعه اللسان الظاهري في الذّكر والحركة.

وهنا نقف عند سرٍّ جديدٍ من أسرار تكرار الأذكار والأدعية ودوام الذّكر والعبادة، وهو انطلاق لسان القلب الذي تأثّر بالعبادة وفهم معانيها. وقد أُشير إلى هذا المعنى في الأحاديث الشريفة كما ورد عن الصادق عليه السلام أن عليّاً عليه السلام قال في بيان بعض آداب قراءة القرآن: "ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة"(٥١). وأيضاً عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال لأبي أسامة: "يا أبا أسامةَ ارعوا قلوبكم بذكر الله عزَ وجلّ واحذروا النّكْت"(٥٢).

وقد قلنا سابقاً أنه ونتيجةً لتكرار العبادات تصبح قوى النفس والقوى الظاهرية مؤتمرةً بأوامر القلب وتابعةً له، وهنا نقول أنه نتيجةً لرعاية أدب التفهيم وبعد مدّةٍ من المواظبة، يصبح اللسان الظاهري تابعاً للسان القلب وناطقاً بنطقه.

وفي الواقع إن هذه النتيجة هي علامةٌ لنجاح الإنسان في تفهيم وتعليم قلبه معاني الأذكار والعبادات. فعندما ينطق لسان القلب يرتفع تعب تعليم الذّكر ومشقّته والملل عن المعلّم ويحصل النشاط والفرح بتحقّق الغاية. وذلك كشأن الإنسان الذي يعلّم طفلاً النطق والكلام، فما دام الطفل لم ينطق، فإن المعلم يكون في تعبٍ وملالة، فإذا انطلق لسان الطفل وأدّى الكلمة التي علّمه إياها ارتفعت ملالة المعلم. فإذا انطلق لسان القلب بالذّكر والحقائق بيسرٍ وسهولةٍ، بلا مشقّة أو مللٍ، ردّدها لسانه الظاهري أيضاً بنشاطٍ وبهجةٍ وفرح. فيكون القلب قائداً واللسان تابعاً له.

وقد كان الأئمة عليهم السلام يراعون هذا الأدب كما في الحديث أن الصادق عليه السلام كان في صلاته فغشي عليه فلمّا أفاق سُئل عن سببه فقال عليه السلام: "ما زلت أردد هذه الآية حتى سمعتها من قائلها"(٥٣).

(٥١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٠٧.

(٥٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٨، ص١٦٧.

(٥٣) الشيخ بهاء الدين العاملي، مفتاح الفلاح، ص٢٧٢.

إذاً، مراعاة أدب التفهيم يقتضي بتلقين القلب للأذكار، وعدم الاقتصار على الذكر الظاهري فإن الذّكر اللساني رغم أهمّيته - كونه أداةً للتعليم - ولكن الذّكر القلبي هو الأهم، لأن القلب هو محور العبادات. لذلك قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: "يا أبا ذر ركعتان مقتصدتان في تفكّر، خيرٌ من قيام ليلةٍ والقلب ساه"[٥٤].

المفاهيم الرئيسة

١. من الآداب المعنوية الهامّة للعبادات أدب الطمأنينة. وأداء الصلاة بحال الطمأنينة يعني أن يؤدّيها العابد وهو في حالٍ من سكينة القلب واطمئنان البال.

٢. القلب هو مركز التأثّر في الإنسان وهو المستهدف من العبادة وهو أمير البدن والجوارح الخارجية للإنسان إنّما تتحرّك بإمرته.

٣. أحد أسرار العبادات هي امتثال القوى الظاهرية والباطنية للإنسان لأحكام القلب وأوامره، وذلك بأن تطيعه وتترك التمرّد والعصيان والأنانية وتذوب إرادتها في إرادته وتتم هزيمة النفس الأمّارة بالسوء فتقوى بالنتيجة إرادة الإنسان. ولكي يحصل هذا الأمر لا بد من أداء العبادة مع بهجةٍ وإقبالٍ ورغبةٍ في نفس العابد.

٤. الميزان في مراعاة أدب النشاط والبهجة يكمن في التفات الإنسان إلى أحوال نفسه فيسلك بها بما يناسب قوّتها وضعفها، فإذا كانت قويّةً في العبادات ومقبلةً عليها فعليه أن يجدّ ويجتهد في العبادة. مع ملاحظة الفارق بالنسبة إلى من تجاوز مرحلة الشباب فعليه أن يشمّر عن ساعد الهمّة ويروّض نفسه على العبادة.

٥. من الآداب المعنوية في العبادات أدب التفهيم، وهو يعني إفهام القلب الأذكار والأوراد وأسرار العبادات وحقائقها، حتى ينفتح لسان القلب بالنطق بها، وهذا الأدب مهمٌّ جداً وخاصّة بالنسبة إلى المبتدئين.

٦. مراعاة أدب التفهيم يقتضي بتلقين القلب للأذكار، وعدم الاقتصار على الذكر الظاهري فإن الذّكر اللساني رغم أهمّيته - كونه أداةً للتعليم - ولكن الذّكر القلبي هو الأهم، لأن القلب هو محور العبادات. وعلامة نجاح هذا التلقين أن ينطلق اللسان الظاهري بالذكر بكل يسرٍ.

---

(٥٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٤، ص٧٤.

أسئلة الدرس

ضع إشارة ✓ أو ✗ في المكان المناسب:

١. (   ) معنى الطمأنينة في الصلاة أن يؤدّيها العابد وهو في حالٍ من سكينة القلب واطمئنان البال.

٢. (   ) من العوامل المؤثّرة في طمأنينة القلب كون القلب منصرفاً نحو الانشغالات الدنيوية.

٣. (   ) القلب العابد حقيقة لله هو أن يصير جميع وجود الإنسان عابداً متأثّراً بالله تعالى.

٤. (   ) القلب هو مركز التأثّر في الإنسان وهو المستهدف من العبادة التي تبغي تشكيله على صورة العبودية وجعله متّحداً بحقيقتها.

٥. (   ) إذا أدّيت العبادة مع إقبال قلب ورغبة في نفس العابد فإنّها تكون سبباً لتقوية إرادة الإنسان وعزيمته.

٦. (   ) أحد أسرار العبادات هي امتثال القوى الظاهرية والباطنية للإنسان لأحكام القلب وأوامره.

٧. (   ) الميزان في مراعاة أدب النشاط والبهجة يكمن في التفات الإنسان إلى أحوال نفسه فيسلك بها بما يناسب قوّتها وضعفها.

٨. (   ) أدب التفهيم يعني إفهام القلب الأذكار والأوراد وأسرار العبادات وحقائقها.

٩. (   ) مراعاة أدب التفهيم يقتضي تلقين القلب للأذكار، والاقتصار على الذكر الظاهري فقط.

١٠. (   ) إن علامة نجاح تلقين القلب للأذكار أن ينطلق اللسان الظاهري بالذكر بكلّ يسرٍ وسهولة.

للمطالعة

الذكر التام

إنَّ ذكر الحق والتذكّر لذاته المقدّس من صفات القلب، وإنّ القلب إذا تذكّر ترتبت عليه ـ القلب ـ جميع الفوائد المذكورة للذكر، ولكن الأفضل أن يعقب الذكر القلبي، الذكر اللساني. وإن أفضل وأكمل مراتب الذكر كافّة هو الذكر الساري في نشآت مراتب الإنسانية، والجاري على ظاهر الإنسان وباطنه، سرّه وعلنه.

فيكون الحق سبحانه مشهوداً في سرّ الوجود، وتكون الصورة الباطنية للقلب والروح، صورة تذكّر المحبوب. ويطغى على الأعمال القلبية والقالبية - الظاهرية - التذكّر لله سبحانه. وتنفتح الأقاليم السبع الظاهرية، والممالك الباطنية، على ذكر الحق، وتتسخّر لتذكّر الجميل المطلق. بل لو أنّ حقيقة الذكر تحوّلت إلى صورة باطنية للقلب، وانفتحت مملكة القلب على يديه (الذكر) لجرى حكمه في كل الممالك والأقاليم - القوى الجسمية الظاهرية والباطنية - ولكانت حركة وسكون العين واللسان واليد والرجل، وأفعال كل القوى والجوارح مع ذكر الحق.

ولم تقم - القوى الظاهرية والباطنية في جسم الإنسان - بإنجاز ما يخالف الوظائف الشرعية المقررة. فتكون حركاتها وسكناتها مبدوّة ومختومة بذكر الحق، وتَنْفُذُ ﴿**بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**﴾[55] في جميع أطراف المملكة ـ جسم الإنسان بما فيه القوى الظاهرية والباطنية[56].

---

(٥٥) سورة هود، الآية ٤١.

(٥٦) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، الحَديث الثَامِن عشرَ: الذّسكر.

٥

الدرس الخامس

حضور القلب في العبادة

الدرس الخامس

حضور القلب في العبادة

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

١. يذكر أهمّية أدب حضور القلب ومحوريّته في العبادات والصلاة خاصّة.

٢. يبيّن الموانع التي تحول دون حضور القلب في العبادة والصلاة.

٣. يشرح كيفيّة إزالة الموانع لتحصيل حضور القلب في العبادة.

معنى حضور القلب

قال الامام الصادق عليه السلام: "اذا استقبلت القبلة، فآيس من الدنيا وما فيها، والخلق وما هم فيه، واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين بسرك عظمة الله عز وجل واذكر وقوفك بين يديه، قال تعالى: هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردّوا الى الله مولاهم الحق... وقف على قدم الخوف والرجاء."[٥٧] فحضور القلب إذاً هو إفراغه من أي شيءٍ يشغله عن الله تعالى وعظمته.

وقد ورد في جامع السعادات: "حضور القلب: وهو أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابسٌ له ومتكلّمٌ به، حتى يكون العلم مقروناً بما يفعله وما يقوله، من غير جريان الفكر في غيرهما. فمهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه، وكان في قلبه ذكرٌ لما هو فيه من غير غفلةٍ عنه، فقد حصل حضور القلب. ثم حضور القلب قد يُعبّر عنه بالإقبال على الصلاة والتوجّه، وقد يُعبّر عنه بالخشوع بالقلب.."[٥٨].

والمراد من حضور القلب في الصلاة هو أن يكون مشغولاً وملتفتاً إلى حال الصلاة ومتوجّهاً إلى الله في أفعاله وأقواله وغيرها ومفرّغاً فكره عما سوى الحق[٥٩].

---

(٥٧) منسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام، مصباح الشريعة، الباب التاسع والثلاثون، في افتتاح الصلاة، ص٨٧.

(٥٨) النراقي، جامع السعادات، ج٣، ص٢٥٩.

(٥٩) راجع السيد عبد الحسين دستغيب، صلاة الخاشعين، دار التعارف، ص ٣٥.

أهمّية حضور القلب في الروايات

قد يكون هذا الأدب هو لبّ الآداب المعنوية للصلاة وقطب الرّحى فيها، وعنوانه دليلٌ على ذلك فلطالما أشرنا في السابق إلى أن القلب هو المحور في العبادات، وأنّه هو الذي تبتغي العبادة تغييره والتأثير فيه وتشكيله على صورة العبودية وتحويله إلى عابدٍ حقيقي. فأيّ أهمّيّةٍ لهذا الأدب؟ وما هو السرّ في ذلك؟

إن رعاية حضور القلب في العبادات ولا سيّما في الصلاة، هو أحد أهم الآداب القلبية قاطبةً، إذ ليس للعبادة من دونه روحٌ أو معنىً. وهو مفتاح قفل الكمالات وباب أبواب السعادات وقلّما اهتُمّ بشيءٍ من الآداب كهذا الأدب في الأحاديث الشريفة.

ومثالٌ على ذلك ما ورد عن رسول الله محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم: "من صلّى ركعتين لم يحدّث فيهما نفسه بشيءٍ من الدنيا غفر الله له ذنوبه"(٦٠).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "إن من الصلاة لما يُقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العشر وإن منها لما تلفّ كما يلفّ الثوب الخلق فيُضرب بها وجه صاحبها وإنما لك في صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك"(٦١). وعنه أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا يقبل الله صلاة عبد لا يَحضُر قلبه مع بدنه"(٦٢).
وعن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام أنهما قالا: "إن ما لك من صلاتك إلا ما أقبلت عليه فيها فإن أوهمها كلّها أو غفل عن آدابها لُفّت فضُرب بها وجه صاحبها"(٦٣).
وعن الإمام الصادق عليه السلام: "إذا أحرمت في الصلاة فأقبل إليها، لأنك إن أقبلت أقبل الله إليك وإن أعرضت أعرض الله عنك، فربّما لا يرفع من الصلاة إلا ثلثها أو ربعها أو سدسها بقدر ما أقبل المصلّي إليها وإن الله لا يعطي الغافل شيئاً"(٦٤).

(٦٠) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٤٩.

(٦١) م. ن، ص٢٦٠.

(٦٢) م. ن، ص ٢٤٢.

(٦٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج٣، ص٣٦٣.

(٦٤) م. ن، ص ٢٦٦.

نتائج وآثار حضور القلب

وللإضاءة أكثر على أهمية هذا الأدب نذكّر بما مرّ سابقاً من أن العبادات والمناسك والأذكار والأوراد إنما تنتج نتيجةً كاملةً إذا صارت صورةً باطنيةً للقلب، وتخمّر باطن الإنسان بها، وتصوّر قلب الإنسان بصورة العبودية وخرج عن الهوى والعصيان. وكذلك ما ذكرناه من أن أسرار العبادات وفوائدها أن تتقوّى إرادة النفس وتتغلّب النفس على القوى الطبيعية فتصبح مسخّرةً لها ولسلطنتها.

ونضيف الآن وبشكلٍ أكثر تفصيلاً أن من نتائج العبادات المهمّة أن تصبح إرادة النفس الملكوتية نافذةً في ملك البدن بحيث تكون القوى الظاهرية بالنسبة إلى النفس كملائكة الله بالنسبة إلى الحق تعالى **﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**(٦٥).

ويعقب ذلك نتيجةٌ مهمّةٌ أخرى وهي أن تغدو مملكة البدن بجميعها، ظاهرها وباطنها، مسخّرةً تحت إرادة الله، وتكون القوى الملكوتية والملكية للنفس من جنود الله، وتكون كلها كملائكة الله. ويترتّب على هذه النتيجة أن تصبح النفس مرتاضةً بعبادة الله بالتدريج، وتنهزم جنود إبليس بشكل نهائي وتنقرض، ويكون القلب مع قواه مسلّمين للحق.

وجميع النتائج المذكورة لن تتمّ ما دام القلب غير حاضرٍ في محضر العبادة حضوراً كاملاً وقائماً فيه، وما دام يتقلّب غافلاً بعيداً عنه.

فإذا كان القلب في وقت العبادة غافلاً وساهياً لا تكون عبادته حقيقيةً بل تشبه اللهو واللعب، ولا يحصل لمثل هذه العبادة أثرٌ في النفس البتة، ولا تتجاوز العبادة من الصورة والظاهر إلى الباطن والملكوت. فتكون عبادتنا قشراً بلا لبٍّ وصورةً بلا باطن، فتزول مع زوال قشور هذه الدنيا الفانية ولا يتبقّى منها أي أثرٍ يصحب الإنسان لدى انتقاله من دار الفناء إلى دار البقاء حيث لا يبقى إلا ما كان حقيقياً. (٦٦)

---

(٦٥) سورة التحريم، الآية ٦.

(٦٦) راجع الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، المقالة الأولى، الفصل الثامن في بيان حضور القلب.

موانع حضور القلب

بعد أن بيّننا أهمّية حضور القلب لتحصيل فوائد العبادة ينبغي أن نوضح سبيل تحصيله، ولكن لا بدّ أولاً من التعرّف إلى الموانع والعوائق التي تحول دون تحقّق حضور القلب، فإنّ إزالتها يجعل طريق إحراز هذا الأدب الفائق الأهمية سالكةً ومعبّدةً.

وموانع حضور القلب في العبادات هي كلّ ما يستدعي غفلة القلب عن محضر العبادة ويذهله عن معاني حركات وأذكار وطقوس العبادات ويسرح به بعيداً عن الحضور في موعد لقاء المعبود عزّ وجلّ.

وتنشأ الموانع إمّا من أمورٍ خارجيةٍ عن طريق الحواسّ الظاهرية، وإمّا من أمورٍ باطنيةٍ عمدتها عقبتان رئيستان، هما الخيال وحبّ الدنيا.

ونعني بالموانع الناشئة من أمورٍ خارجيةٍ كلّ ما يرد إلى ذهن الإنسان عن طريق الحواسّ الظاهرية كأن يسمع أو يرى في حال العبادة شيئاً فيتعلّق ذهنه به، فينشغل به خياله ويتشتّت خاطره فيذهل بالكلّية عن عبادته، وإن كان قائماً في الصلاة مثلاً، فلا يلتفت إلّا وقد ختمها مسلّماً دون أن يعي ممّا قاله فيها حرفاً واحداً!

وقد نظنّ للوهلة الأولى أن حلّ هذه المشكلة يكمن في أن يعزل المصلّي نفسه عن كل ما يمكن أن يتسرّب إليه عن طريق الحواس، فيصلّي في غرفةٍ خاليةٍ من أيّ شيءٍ وأحدٍ، ولكن الواقع أن هذا حلٌّ جزئيٌّ وهو غير ذي فاعليةٍ حقيقية طالما أن المشكلة الأساسية هي في ما تولّده هذه المحسوسات في خيال الإنسان وتنتجه من تخيّلاتٍ وأوهام، وما تصرف الذهن إليه من أفكارٍ وليس فقط في استقبال الذهن لها، والذي قد يحدث في لحيظاتٍ قليلةٍ سرعان ما تنقضي.

بل ربما يقود خلوّ الغرفة المصلّي إلى خيالاتٍ من نوعٍ آخر أشدّ تشتيتاً له وإبعاداً للقلب من محضر الصلاة، فالحلّ إذاً يكمن في امتلاك القدرة للسيطرة على قوّة الخيال لدى الإنسان وهي في الواقع إحدى المانعين الباطنيين.

أما بالنسـبة للموانع الناشئة من عوامل باطنيةٍ فهما كما ذكرنا قوّة الخيال لدى الإنسان وحبّ الدنيا المتمكّن من قلبه:

١. <u>الخيال:</u>

قوّة الخيال أو المتخيّلة، وهي قوّة موجودةٌ لدى كلّ إنسان بشكلٍ طبيعيٍّ ولها فوائدها العظمى بالنسبة إليـه، فمـن دونها مثلاً لا يتمكّن الإنسـان من الذهـاب إلى مكانٍ ما لأنه لا يمتلـك القدرة على تخيّل وتصـوّر الطريق إليه. ولكن المشـكلة تقع عندما يعمل الخيال في غير مكانه ووقته المناسـبين وهو ما يحدث تلقائياً وبشكلٍ دائمٍ، لأنه وكما يقال إن طائر الخيال بطبيعته فرّار.

فمـن شـدّة انتقالها من خيالٍ إلى آخر ومن صـورةٍ إلى أخرى تمّ تشـبيه هذه القـوة بالطائر الذي لا يعرف استقراراً فتجده يطير باستمرارٍ من غصنٍ إلى آخر، ومن شجرةٍ إلى أخرى.

وكون الخيال مولّداً دائماً للخيالات والصور هو أمرٌ لا يُبتلى به أهل الدنيا فقط، بل حتى أولئك الذين تعلّقت قلوبهم بالآخرة، فهم لا ينجون من هذه المصيبة الناشئة من طبيعة وخصائص قوّة الخيال.

والذي ينجو من هذه المصـيبة هو ذلك الذي يروّض هذه القوّة والتي كما سنبيّن لاحقاً، هي قوّةٌ قابلةٌ للترويض ويمكن لصاحبها السيطرة عليها بمجاهدةٍ خاصّةٍ.

ومن المهم أن نعلم أن تحصـيل سكون الخاطر وطمأنينة النفس أثناء العبادة لن يحصل بغير التمكّن من السيطرة على الخيال وبذلك نكون قد قضينا على مانعٍ خطيرٍ يمنع من حضور القلب في العبادة.

٢. <u>تعلّق القلب بالدنيا:</u>

المانـع الثـاني هـو تعلّق القلـب بالحيثيّات الدنيويـة وحبّه للدنيا الـذي هو رأس الخطايـا والأمراض الباطنية، وهو شـوك طريق أهل السـلوك ومنبع المصـيبات. وما دام القلب متعلّقاً، ومنغمساً في حب الدنيا فالطريق لإصـلاح القلوب مسـدودٌ، وباب جميع السـعادات مغلقٌ في وجه الإنسان. والسبب في ذلك أن القلب يتوجّه إلى محبوبه بمقدار تمكّن حبّه منه:

فإن كانت الدنيا هي محبوبته وقد استحوذت عليه فإنها تأخذ بشغافه وعنايته في كافّة حالاته وهنيهاته، وتشغله بفتنتها في كل أوانٍ، فينصرف عن كلّ ما سواها بما في ذلك العبادة والحضور في الصلاة موعد الثناء على ربّ العزّة المتعال. وهذا الإنسان ليس له من العبادة والعبودية نصيب.

وإن كان حب الدنيا قد خالط قلبه ولكنه لم يستحوذ عليه بالكلّية فإنه قد ينشغل عن محبوبته بأمورٍ أخرى ولكن ما أن يزول الانشغال فإنه يطير إليها على عجلٍ، وفي أغلب الأحيان يكون وقت الصلاة بالنسبة لهذا الإنسان موعداً ليلتقي محبوبته الدنيا حيث يترك سائر انشغالاته وينصرف إليها، فلا يجني من صلاته غير الخسران لأن: "ما لك من صلاتك إلا ما أقبلت عليه فيها فإن أوهمها كلها أو غفل عن آدابها لفّت فضرب بها وجه صاحبها"(٦٧).

أما أولئك الذين تذوّقت قلوبهم لذّة حب المحبوب المطلق، والذين يرون جمال محبوبهم عزّ وجلّ في كل شيء فإنهم ينتظرون موعد لقائهم به ويأتون بالصلاة بآدابها وتحضر قلوبهم فيها بلا كلفةٍ لأنها لا تروم سواه.

كيفية تحصيل حضور القلب

بعد أن عرفنا موانع حضور القلب أثناء العبادة وتبيّن لنا أن عمدتها عاملان رئيسان، هما تشتّت الخيال وحب الدنيا، ننتقل الآن لتوضيح كيفيّة إزالة هذين العاملين. وذلك لأن بقاءهما عني عدم إقبال القلب على الصلاة والعبادة واستمرار غفلته، ممّا يعني أن صلاة الإنسان لن تكون مقبولةً من جانب الحق المتعال، في الوقت الذي تعتبر فيه الصلاة الميزان في قبول أعمال الإنسان أو ردّها عليه، نعوذ بالله من ذلك وسوء عاقبته.

١. <u>السيطرة على قوة الخيال:</u>

لا يمكن لنا الحديث عن إزالة قوة الخيال، فهو كما أصبح واضحاً قوّةٌ طبيعيةٌ ولازمةٌ للإنسان، ولكن علينا الحدّ من كونها مانعةً لحضور القلب في العبادة، ولذلك نكون بصدد السيطرة على هذه القوّة. وقوّة الخيال هي كسائر قوى الإنسان الظاهرية والباطنية قابلةٌ للتربية والترويض والتهذيب والتدريب.

---

(٦٧) الشيخ الكليني، الكافي، ج٣، ص٣٦٣.

فعـين الإنسـان مثلاً قابلـةٌ للتدريب حيث يمكـن للمتدرّب بنحوٍ خاصٍ أن ينظر إلى قرص الشـمس سـاعاتٍ عديـدة دون أن يغمض جفنـه، بينما لم يكن بمقدوره النظر سـابقاً لثـوانٍ قليلة. كما يمكن برياضـةٍ خاصّةٍ أيضاً لمرتاضٍ أن يحبس أنفاسـه مدّةً طويلةً غير معتادةٍ، بل ويمكن وبرياضةٍ خاصّةٍ للبعض أن يتحكّم بدقّات قلبه فيبطئها مثلاً.

وكذلك القـوى الباطنية هي قابلةٌ للتربية وللتدريب وكمثالٍ عليها التدريبات الذهنية لامتلاك الكثير من القدرات المختلفة كتقوية الشخصية أو الطلاقة في الكلام أو تنمية الذاكرة...

ومن ضمن هذه القوى الباطنية القابلة للتدريب قوّة الخيال، بحيث يصبح طائر الخيال إثر الرياضة الخاصّـة طيّعاً في قبضـة صاحبه لا يتحرّك إلا بإرادته واختياره. والرياضة الخاصّة لهذا التطويع هو مبدأ العمل بالخلاف. وتطبيق هذا المبدأ في الصلاة يقتضي:

أولاً: أن يقرّر الإنسان أن يحفظ خياله أثناء صلاته ويسيطر عليه، ويجعل تحقيق هذه السيطرة هدفاً له.

ثانياً: أن يبقى المصلّي مركّزاً على هدفه أثناء الصلاة، وبمجرّد أن يلحظ تحرّكاً لخياله خارج أذكار الصلاة ومعانيها يوقفه فوراً ويردّه إلى الصلاة.

ثالثـاً: أن يبقـى ملتفتـاً إلى حـال خياله في جميع حركات الصـلاة وسـكناتها وأذكارهـا وأعمالها، ويترصّده ولا يدعه بحاله أبداً.

رابعـاً: أن يـدرك أن السـيطرة على الخيال لن تتمّ بتدريـبٍ واحدٍ بل يلزم المواظبة كما هو شـأن كل تدريبٍ من أي نوعٍ كان. كما عليه أن لا يتوقّع أن يتمكّن في بداية الأمر من حفظ خياله تماماً في كامل الصلاة بل عليه أن يدرك أنه سيحقّق هذا الهدف بالتدريج، فيمكن أن يحفظه أولاً في عشر الصلاة مثلاً ثم تزداد هذه النسبة شيئاً فشيئاً حتى يحفظه فيها كاملةً آخر المطاف.

خامسـاً: ينبغـي للإنسـان أن لا ييأسـ في كل أحواله، فإن اليأسـ هو منبع كلّ ضـعفٍ ووهنٍ ومكمنٍ للشيطان والوهم. بل عليه أن يجعل كلّ اعتماده على الله عزّ وجلّ، وأن يرفع يده تماماً أثناء مجاهدته وسلوكه عن الاعتماد على نفسه، ويتوجّه إلى مسبّب الأسباب، ويتضرّع إليه في خلواته، ويطلب إصلاح حاله منه تعالى، فإنه لا ملجأ دون ذاته المقدسة.

وتبقى الإشارة إلى أن المنشأ الأساسي والمغذّي الأساسي لقوّة الخيال هو حب الدنيا والانشغال بزينتها وسفاسفها، لذا ينبغي قطع هذه الشجرة الملعونة وتجفيف هذا النبع الملوّث، السامّة مياهه.

٢. **علاج حب الدنيا:**

عندما يكون قلب الإنسان مختلطاً بحب الدنيا، وليس له مقصدٌ ولا مقصودٌ غير تعميرها، فلا محالة أن يكون هذا الحب مانعاً من فراغ القلب وحضوره في ذلك المحضر القدسيّ، وعلاج هذا المرض المهلك والفساد المبيد هو العلم والعمل النافعان:

أ- العلم النافع:

التفكّر في ثمرات هذا المرض الذي هو مصدر الأمراض والمفاسد الأخلاقية، وفي نتائجه والمقارنة بينها وبين مضارّه ومهالكه الحاصلة منه. فكم هي محدودةٌ ومحكومةٌ بالفناء والزوال الفوائد الدنيوية التي قد يجنيها الإنسان المحب للدنيا؟ في مقابل ما يسببه حبّها من ضررٍ له!! ويكفي لتبيان فداحة هذا الضرر ما ورد في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: "رأس كل خطيئة حب الدنيا"(٦٨).

فيكفي لهذه الخطيئة العظيمة المهلكة أنها منبع جميع الخطايا وأساس جميع المفاسد. فبقليلٍ من التأمّل يدرك الإنسان أن جميع المفاسد الخُلقية والعملية توشك أن تكون من ثمرات هذه الشجرة الخبيثة. فما يحدث في هذه الدنيا من فسادٍ كالقتل والنهب والظلم والفجور والفحشاء والسرقة، إلا وهو بواسطة هذه الموبقة العظيمة. كما أن الفقر والذلّة والطمع والحرص والاستعباد والتملّق والبغض والحقد والجور وقطع الرحم والنفاق وسائر الأخلاق الفاسدة وليدة أم الأمراض هذه.

وحب الدنيا مانعٌ من الفضائل المعنوية، فالشجاعة والعفّة والسخاء والعدالة وطمأنينة النفس وسكون الخاطر وسلامة القلب والكرامة والحرية وعزّة النفس، وكذلك المعارف الإلهية والتوحيد في الأسماء والصفات والأفعال والذات وطلب الحق ورؤية الحق، جميعها متضادّةٌ مع حب الدنيا.

فعن الإمام الصادق عليه السلام "الدنيا بمنزلة صورةٍ رأسها الكبر وعينها الحرص وأذنها الطمع ولسانها الرياء ويدها الشهوة ورجلها العجب وقلبها الغفلة وكونها الفناء وحاصلها الزوال، فمن أحبّها أورثته الكبر، ومن استحسنها أورثته الحرص، ومن طلبها أوردته إلى الطمع، ومن مدحها ألبسته الرياء، ومن أرادها مكّنته من العجب، ومن اطمأنّ إليها أولته الغفلة، ومن أعجبته متاعها أفنته، ومن جمعها

(٦٨) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص٣١٥.

وبخل بها ردّته إلى مستقرّها وهي النار"[٦٩].

والأحاديث في ذمّ حب الدنيا كثيرةٌ، فإذا ما أدرك المُبتلى به هول مخاطره، عليه أن ينهض بهمّةٍ ليعمل على اقتلاع جذور هذا الحب من قلبه بالعمل النافع.

ب- العمل النافع:

إن طريق علاج حب الدنيا هو مبدأ العمل بالضدّ. فكلّ محبٍّ للدنيا لديه نمطٌ من التعلّق بها، فالبعض يحبّ المال والثروة وتكديس الخيرات وادّخار النفائس، وعلاج هذا الشخص يكون بأداء الحقوق المالية الشرعية الواجبة وبالصدقة المستحبّة، فيعطي ممّا يحبّ ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[٧٠]. فإن من أسرار الصدقات تقليل التعلّق بالدنيا.

وإن كان هذا الأمر ثقيلاً على نفسه بادئ الأمر فليعلم أن السبب هو استحكام حب المال في قلبه، وليستمرّ في إنفاقه حتى يقضي على هذا الحب شيئاً فشيئاً.. وقد يصبح العطاء لديه لذّة كما كانت لذّة التملّك وجمع الأموال.

وهكذا، على كلّ إنسان أن يشخّص مورد ابتلائه بحب الدنيا، وفي أيّ الأمور يتجلّى هذا الحب في حياته ويقوم على العمل بخلاف هواه ومضادّة مشتهيات نفسه والثبات على هذه المجاهدة الفترة الكافية من الزمن للتخلّص من أمّ الأمراض هذه واقتلاعها من جذورها، وأن يحرص على مراقبة نفسه دائماً لئلّا يتسلّل هذا المرض الخبيث إليها مجدّداً.[٧١]

المفاهيم الرئيسة

١. إن رعاية حضور القلب في العبادات ولا سيّما في الصلاة، هو أحد أهم الآداب القلبية قاطبةً، إذ ليس للعبادة من دونه روحٌ أو معنىً.

٢. من نتائج العبادات المهمّة أن تغدو مملكة البدن بجميعها، ظاهرها وباطنها، مسخّرةً تحت إرادة

(٦٩) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٠، ص١٠٥.

(٧٠) سورة آل عمران، الآية ٩٢.

(٧١) راجع الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، المقالة الأولى، الفصل الثامن في بيان حضور القلب.

الله، ويترتّب على هذه النتيجة أن تصبح النفس مرتاضةً بعبادة الله بالتدريج.

٣. ما دام القلب غير حاضرٍ في محضر العبادة حضوراً كاملاً وقائماً فيه، وما دام يتقلّب غافلاً عن الله. فستكون العبادة قشراً بلا لبٍّ وصورةً بلا باطن.

٤. موانـع حضـور القلب تنشـأ إمّا من أمورٍ خارجيـةٍ عن طريق الحواسّ الظاهريـة، وإمّا من أمورٍ باطنيـةٍ عمدتها عقبتان رئيسـتان، هما الخيال وحبّ الدنيا. وينبغي إزالتهما لتحصـيل حضـور القلب.

٥. للسيطرة على قوّة الخيال لا بد من تدريبها من خلال: جعل تحقيق هذه السيطرة هدفاً للإنسان، التركيز على الهدف أثناء الصـلاة، الالتفات إلى حال خياله في الصـلاة بأكملها، المواظبة على التدريب والسعي للهدف بالتدريج، عدم اليأس، وجعل كلّ اعتماده على الله عزّ وجلّ.

٦. علاج مرض حب الدنيا يكمن في العلم والعمل النافعين:

أ -التفكّر في ثمرات هذا المرض الذي هو مصدر الأمراض والمفاسد الأخلاقية، وفي نتائجه والمقارنة بينها وبين مضارّه ومهالكه الحاصلة منه.

ب - العمل النافع: وهو مبدأ العمل بالضدّ.

أسئلة الدرس

ضع إشارة ✓ أو ✗ في المكان المناسب:

١. (   )أحد أهم الآداب القلبية في الصلاة رعاية حضور القلب فيها.

٢. (   )حضور القلب في الصلاة هو أن يكون المصلي مشغولاً وملتفتاً إلى حال الصلاة، ومتوجّهاً إلى الله في أفعاله وأقواله ومفرّغاً فكره عمّا سوى الحق.

٣. (   )من نتائج العبادات المهمّة أن تُصبح إرادة النفس الملكوتية غير نافذة في ملك البدن بحيث تكون القوى الظاهرية بالنسبة إلى النفس كملائكة الله بالنسبة إلى الحق تعالى.

٤. (   )إذا أصـبحت النفس مرتاضـة بعبادة الله تعالى انهزمت جنود إبليس وصار القلب مسلِّماً قواه للحقّ تعالى.

٥. (   )أكّدت الأحاديث الشـريفة على أهمّية حضـور القلب في العبادات فهو قفل الكمالات وباب أبواب السعادات.

٦. (   )موانع حضـور القلب هي كلّ ما يسـتدعي غفلة القلب عن محضـر العبادة وانشـغاله عن

معانيها الحقيقية.

٧. (   ) تنشأ الموانع إمّا من أمورٍ خارجةٍ عن طريق الحواسّ الظاهرية، وإمّا من أمورٍ باطنيةٍ عمدتها عقبتان رئيستان، هما الخيال وحبّ الدنيا.

٨. (   ) حبّ الدنيا هو تعلّق القلب بالحيثيّات الدنيوية الموصلة إلى الآخرة ورغبة القلب فيها.

٩. (   ) من العوامل المؤثّرة في السيطرة على قوّة الخيال هي التركيز على الهدف من عبادة الله سبحانه وتعالى.

١٠. (   ) علاج مرض حبّ الدنيا يكمن في العلم والعمل النافعين والتفكّر في آثاره السلبية والمهلكة.

للمطالعة

بيان بعض أسرار العبادة وتجسيم الأعمال

اعلم أنّ لكلٍّ من الأعمال الحسنة والأفعال العبادية صورةً باطنيةً ملكوتية، وأثراً في قلب العابد. أما الصورة الباطنية فهي التي تعمّر العوالم البرزخية والجنة الجسمانية، لأن أرض الجنة قاعٌ خاليةٌ من كلّ شيء كما ورد في الحديث، وأن الأذكار والأعمال موادّ إنشاءٍ وبناءٍ لها. كما ورد في الحديث أيضاً. وإنّ الآيات الكثيرة من الكتاب الشريف الإلهي، تدلّ على تجسّم الأعمال مثل قوله تعالى: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ ومثل قوله تعالى: ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا**﴾. والأخبار الدالّة على تجسّم الأعمال والصور الغيبية الملكوتية مذكورة في أبواب مختلفة.

ونحن نكتفي بذكر بعضها:

روى الصدوقُ رحمه الله بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "مَنْ صَلَّى الصَّلَوات المَفْروضات فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا وَأَقَامَ حُدودَها، رَفَعَهَا المَلَكُ إِلَى السَّماءِ بَيْضاءَ نَقِيَّةً تقولُ: حَفِظَكَ اللّه كَمَا حَفِظْتَنِي، اسْتَوْدَعَنِي مَلَكٌ كَرِيمٌ. وَمَنْ صَلاّها بَعْدَ وَقْتِهَا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَلَمْ يُقِمْ حُدودَها، رَفَعَهَا المَلَكُ سَوْدَاءَ مُظْلِمَةً وَهِيَ تَهْتِفُ بِهِ ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَك اللّه كَمَا ضَيَّعْتَنِي وَلاَ رَعَاكَ اللّه كَمَا لَمْ تَرْعَنِي".

ويُستفاد من هذا الحديث الشريف مضافاً إلى تحقّق الصورة الملكوتية للعمل، حياة الصورة الملكوتية وشؤونها الحياتية أيضاً، وهذا ضربٌ من البرهان على تجسّم الأعمال. والأخبار تدلّ على أنّ لجميع الموجودات حياة ملكوتية، وأنّ عالم الملكوت كلّه حياة وعلم. ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**﴾[٧٢].

(٧٢) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، الحَديث السَابع وَالعشرون: حضور القلب.

٦

الدرس السادس

الآداب المعنوية للطهارة

الدرس السادس

الآداب المعنوية للطهارة

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

١. يعدّد مراتب الطهارة.

٢. يبيّن الآداب المعنوية للتوجّه إلى الماء والتراب.

٣. يذكر الآداب المعنوية للوضوء.

الآداب المعنوية للتوجّه إلى الماء

ورد في الآداب المعنوية للتوجّه إلى الماء رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يبيّن فيها هذه الآداب بشيء من التفصيل فيقول: "إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدّم إلى الماء تقدمك إلى رحمة الله فإن الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلاً على بساط خدمته، وكما أن رحمة الله تطهّر ذنوب العباد كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غير. قال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا**﴾[٧٣]. وقال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٧٤].

"فكما يحيي به كل شيء من نعيم الدنيا كذلك برحمته وفضله جعل حياة القلوب الطاعات. وتفكّر في صفاء الماء ورقّته وطهارته وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها، وأت بآدابها في فرائضه وسننه فإن تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة، فإذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عيون فوائده عن قريب ثم عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء يؤدّي كل شيء حقّه ولا يتغير معناه، معتبراً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل المؤمن المخلص الخالص كمثل

(٧٣) سورة الفرقان، الآية ٤٨.

(٧٤) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

الماء، ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهوراً وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء"(٧٥). في هذا الحديث يبيّن الإمام عليه السلام عدّة آدابٍ عند التوجّه إلى الماء للتطهر، ينبغي للسالك إلى الله أن يراعيها، ويلتزم بأحكامها إذا ما أراد أن يتلمس نورانية الطهارة والدخول في سلك المتأدبين بآدابها المعنوية والروحية. ويمكن أن نلخّصها في ما يلي: على المتوضئ:

١. <u>استحضار رحمة الله:</u>

أن يستحضر حين التوجّه إلى الطهارة والوضوء رحمة الله تعالى، ويتفكّر في التشابه بين تطهير رحمة الله لذنوب العباد وبين تطهير الماء للنجاسات الظاهرة. وأن يتفكّر أيضاً في السبب الذي من أجله جُعل الماء مطهّراً للنجاسات الظاهرية حيث إن ظهور الرحمة الواسعة الإلهية فيه أكثر من سائر الموجودات. لأن الماء هو أحد المظاهر العظيمة لرحمة الحق وقد جعله الله عزّ وجلّ سبباً لحياة الموجودات ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾(٧٦).

٢. <u>تطهير الجوارح من الآثام:</u>

أن يعمل على تصفية الأعضاء والجوارح من الآثام والشوائب، من خلال تفكّره في صفاء الماء ورقّته، أثناء أدائه للفرائض والسّنن الإلهية. فينتقل من صفاء الماء إلى تصفية الأعضاء، فيصفّيها بأداء الفرائض والسنن الإلهية، ويرقّق الأعضاء برقة الفرائض والسنن، ويخرجها من غلظة المعصية، لتسري الطهارة والبركة في جميع الأعضاء كما يقول الإمام الخميني قدس سره(٧٧). فتبدأ الآثار الباطنية بالظهور تدريجيّاً وتتفجّر ينابيع الأسرار الإلهية وتتكشف للإنسان لمحةٌ من أسرار العبادة.

٣. <u>الإخلاص لله:</u>

أن يجعل تعامله مع الله تعالى خالصاً صافياً كصفاء الماء من جميع الشّرك، وأن يتأمّل في كون قلبه - في بداية خلقه مثل الماء في وقت نزوله من السماء- طاهراً لولا تصرّف الشيطان والأهواء فيه، فيبتعد

(٧٥) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٧، ص٣٣٩.

(٧٦) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

(٧٧) راجع الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، ص ٧٤.

عن تلويثه بالشرك وبالمعاصي. يقول الإمام الخميني قدس سره: "يلزم للسالك إلى الله أن يكون خالصاً من تصرّف الطبيعة، ولا يكون لكدورتها وظلمتها طريقٌ إلى قلبه. وتكون جميع عباداته خالية من جميع أنواع الشرك الظاهري والباطني[٧٨]. وكما أن الماء في وقت نزوله من السماء طاهرٌ وطهورٌ لم تمتدّ إليه يد تصرّف القذارات، كذلك السالك بالنسبة لقلبه الذي نزل من سماء عالم غيب الملكوت طاهراً ومنزّهاً، فلا يتركه يقع تحت تصرّف الشيطان والطبيعة ويتلوّث بالقذارات[٧٩]".

٤. **حسن المعاشرة:**

أن يجعل طريقة امتزاج الماء بالأشياء مثالاً له في معاشرة خلق الله، معتبراً بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "مثل المخلص كمثل الماء"[٨٠]. فإن الماء حين يسكب في إناءٍ مثلاً يأخذ شكله دون أن تتبدّل حقيقته. وعلى الإنسان المؤمن أن يبقى على صفائه وفطرته رغم معاشرته للناس، وعليه أن يحرص على أن لا يتأثّر بعاداتهم السيّئة. يقول الإمام الخميني قدس سره بهذا الشأن: "السالك إلى الله في نفس الوقت الذي يعاشر كل طائفةٍ من الناس بالمعروف ويرد الحقوق الخلقية، ويتعامل مع كل واحد ويعامله بما يناسب حاله. فهو في الوقت نفسه لا يتجاوز الحقوق الإلهية، ولا يهمل معناها وهو العبادة والعبودية والتوجّه إلى الحق"[٨١].

٥. **التقوى واليقين:**

وفي النهاية على المتوضئ أن يلتفت إلى مسألة في غاية الأهمية وتعتبر من أعمدة وأسس الطهارة الباطنية، وهي تطهير القلب بالتقوى واليقين عند تطهير جوارحه بالماء، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام في الحديث.

---

(٧٨) الشرك على نحوين، ظاهري وعلني كأن يجاهر إنسان به بوجود شريك للباري عزّ وجل، وآخر خفي وغير ظاهر، كالرياء والكبر وغيرها من الأمراض القلبية التي ترجع إلى ضعف الإيمان بالتوحيد وأحياناً فساده في النفس.

(٧٩) الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، ص ٧٥.

(٨٠) م. ن.

(٨١) الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، ص ٧٥.

الآداب المعنوية للوضوء[٨٢]

الآداب المعنوية للوضوء عديدة ومتنوعة:

الأول: ينبغي أن يكون وقوفه للوضوء وقوف في مقام الحمد والشكر لله حيث أذن له ربّ العزة والسلطان بالحضور وهو الآن في مقام تحصيل مقدمات التشرّف لينال هذا الشرف.

الثاني: إذا أخذ غرفة من الماء ليتوضأ فليتفطّن أنه كما يغسل ظاهره بالماء الظاهر الذي هو سبب الحياة لكل حي، كذلك ليغسل باطنه بالعلم وهو الموجب لحياة القلوب والأرواح فينوّر به قلبه وروحه كما في الحديث: "العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء"[٨٣]. وليغسل[٨٤] يديه من العيوب ومن حوله وقوته، وليعلم أنه لا حول له ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. كما ويرمز غسل اليد إلى غسل يده عما نهى عنه الشارع وبالخصوص المنهيات التي تتحقق باليد كالسرقة والتعدّي والغصب وأمثالها. ويعني صبّ الماء باليمنى على اليسرى أنه لا بد له من بسط اليد في البذل والعطاء والإيثار في سبيل رضا الله تعالى، ولا يمسك يده. قال تعالى: ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[٨٥].

الثالث: إذا تمضمض فليقل: "اللهم لقّني حجّتي يوم ألقاك وأطلق لساني بذكرك". ومعنى تلك المضمضة التي يطهّر بها فمه من فضول الطعام أنه يطهّر فمه ولسانه من الذكر القبيح ومن فضول الكلام "وفضول الكلام يميت القلب". وممّا يجري على لسانه ويخرج من فمه ممّا يمقته الله ويدخله النار كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: "وهل يَكُبُّ النّاس على مناخِرهم في النّار إلّا حَصائِدُ ألسنتهم"[٨٦]. فليزيّن لسانه بذكر الله وتلاوة القرآن.

---

(٨٢) للمزيد من التفاصيل مراجعة الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، ص ١٤٣ – ١٤٥، ترجمة السيد احمد الفهري، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٦، مراجع وحواشي الفصل الخامس من المقالة الثانية: في نبذة من آداب الوضوء الباطنية والقلبية.

(٨٣) منسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام، مصباح الشريعة، ص ١٦.

(٨٤) الغسل المقصود هنا هو غسل اليدين قبل مباشرة الوضوء.

(٨٥) سورة آل عمران، الآية ٩٢.

(٨٦) الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص١١٥.

الرابع: ثم يستنشق، وحقيقته إخراج الكبر والتعالي من دماغه كما يخرج بالاستنشاق فضولات الدماغ من طريق أنفه وينقي مجراه.

الخامس: ثم يغسل وجهه ويتوجّه إلى أن ذلك يرمز إلى بياض الوجه وتحصيل ماء الوجه عند الله سبحانه فيتذكّر قصوره وتقصيره وخجلته وسواد وجهه ويستجير بالله من أن يلقاه سبحانه بهذه الحالة، كما يحكيها تعالى: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ**﴾(٨٧). وقال تعالى: ﴿**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ❖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ**﴾(٨٨). وليستح من الله تعالى لمّا رآه حيث نهاه ولمّا توجّه إلى غير مولاه، وقد ورد في الحديث أنه يقول عند غسل وجهه: "اللهم بيّض وجهي يوم تسودّ الوجوه ولا تسوّد وجهي يوم تبيضّ الوجوه".

السادس: ليتذكّر عندما يغسل اليدين أن باطنه غسل الأيدي من رؤية الأسباب، وأيضاً هو غسل اليد عن الخلق وتفويض الأمر إلى الله والاستعداد للتمسّك بذيل المحبوب (الله تعالى) وقرع بابه كما قال الإمام علي عليه السلام: "لكل باب رغبة إلى الله منهم يد قارعة" في وصفه لأهل الذكر وعباد الله. وليتذكر أيضاً موقف القيامة وتطاير الكتب وأحوال الناس في ذاك الوقت كما قال تعالى: ﴿**فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ**﴾(٨٩) ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ**﴾(٩٠) فيقول عند غسله اليمنى: "اللهم أعطني كتابي بيميني والخلد في الجنان بيساري وحاسبني حساباً يسيراً". ويقول عند غسله اليسرى: "اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ولا من وراء ظهري ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي وأعوذ بك من مقطعات النيران".

السابع: ليمسح رأسه من الخضوع لغير الله ومن الكبرياء العارضة له إذ عدّ نفسه شيئاً، وليقل: "اللهم غشّني برحمتك وبركاتك وعفوك ومغفرتك".

---

(٨٧) الزمر: ٦٠.

(٨٨) عبس: ٤٠-٤١.

(٨٩) الإسراء: ٧١.

(٩٠) الحاقة: ٢٥.

الثامن: ويمسح رجليه من المشي إلى دار الغربة وأرض المذلّة (الدنيا)، ويطهّرها أيضاً عن المشي بالكبر، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا**﴾[91]. ويمشي بقدم العبودية والهوان ليصدق عبوديته للرب الرحمن. قال تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**﴾[92].

وعليه التصميم على الثبات في طريق الجهاد وميدان الجهاد الأصغر والأكبر والمشي على الصراط المستقيم، ويقول بلسانه: "اللهم ثبّت قدمي على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام واجعل سعيي فيما يرضيك عني"[93].

المفاهيم الرئيسة

١. إنّ جوهر الصلاة عملية قلبية وهي معراج المؤمن ووسيلته في التقرّب إلى الله، وقد جعلت طهارة البدن والثياب شرطاً في صحّة الصلاة، وأولى خطوات التقرّب إليه تعالى.

٢. إنّ ما يقرّبنا إلى الله تعالى في الواقع هو التجافي عن دار الدنيا، لأن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى الله عز وجل مادام متعلقاً بالدنيا.

٣. الطهارة التي يريدها الله عز وجل هي الطهارة الداخلية، أي الطهارة من الأنانية وحب الذات. ذلك أنه ليس للإنسان عدوٌّ أكبر من العدو الداخلي.

٤. جاءت العبادات لإنقاذ الإنسان من الأمراض النفسية، وكل تعاليم الدين الحنيف جاءت لتطهير الإنسان.

٥. للطهارة مراتب يتمّ في كل مرتبةٍ منها إزالة موانع وقذارات معيّنة، وهي على الشكل التالي: الأولى: تطهير الظاهر من النجاسات الظاهرية عبر مراعاة الأحكام الشرعية، الثانية: تطهير الجوارح من الذنوب والمعاصي بماء التوبة النصوح، الثالثة: تخلية الباطن من أرجاس الأخلاق الفاسدة ويتم بالعلم النافع والارتياض الشرعي. الرابعة: تطهير القلب من تعلّقه بغير الله تعالى.

٦. الآداب المعنوية للتوجه إلى الماء: أن يستحضر المتوضئ حين التوجّه إلى الطهارة والوضوء رحمة

---

(٩١) سورة الإسراء، الآية ٣٧.

(٩٢) سورة الفرقان، الآية ٦٣.

(٩٣) بتصرف، راجع الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، ص ١٤٣ – ١٤٥. ترجمة السيد احمد الفهري، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٦، مراجع وحواشي الفصل الخامس من المقالة الثانية: في نبذة من آداب الوضوء الباطنية والقلبية.

الله تعـالى، ويتفكّر في التشـابه بين تطهير رحمة الله لذنوب العباد وبين تطهير الماء للنجاسـات الظاهرة، أن يعمل على تصفية الأعضاء والجوارح من الآثام والشوائب، أن يجعل تعامله مع الله تعالى خالصاً صافياً كصفاء الماء من جميع الشّرك، أن يجعل طريقة امتزاج الماء بالأشياء مثالاً له في معاشرة خلق الله، وأن يطهّر القلب بالتقوى واليقين عند تطهير جوارحه بالماء.

٧. لكل حركة من حركات الوضوء آداب معنوية، وينبغي أن يستحضرها المتوضئ في حينها.

أسئلة الدرس

ضع إشارة ✓ أو ✗ في المكان المناسب:

١. (   ) جوهر الصلاة عملية قلبية وهي معراج المؤمن ووسيلته في التقرّب إلى الله.

٢. (   ) جعلت طهارة البدن والثياب شرطاً أساسياً ووحيداً في صحة الصلاة وقبولها.

٣. (   ) إنّ الإنسـان يمكنـه الوصـول إلى الله عـزّ وجـلّ ما دام قلبـه متعلّقاً بالدنيا بشـرط عدم الإخلال بعباداته.

٤. (   ) شُـرّعت العبادات بشـكل أسـاس من أجل إنقاذ الإنسـان من الأمراض النفسية وتطهيره روحيّاً.

٥. (   ) تطهير الظاهر من النجاسـات الظاهرية عبر مراعاة الأحكام الشـرعية هو نهاية مراتب الطهارة.

٦. (   ) منشأ الأخلاق الفاسدة والذنوب والمعاصي هو حبّ الدنيا وحبّ النفس.

٧. (   ) مـن الآداب المعنويـة للطهـارة البدنية أن يتفكّر في التشـابه بـين تطهير رحمة الله لذنوب العباد وبين تطهير الماء للنجاسات الظاهرة.

٨. (   ) يعتبر القرآن الكريم الطهارة سرّ العبادات، وما هذه التعاليم والإرشادات القرآنية إلّا من أجل تطهير ظاهر الإنسان.

٩. (   ) الطهارة الظاهرية هي تطهير النفس والجوارح من المعاصي والذنوب.

١٠. (   ) لكل حركة من حركات الوضوء آداب معنوية، ينبغي أن يستحضرها المتوضئ في حينها.

للمطالعة

في الإشارة إلى بعض أمانات الحق

ولا بد من معرفة أنّ الحق تبارك وتعالى، قد وهبنا كافّة القوى والأعضاء الظاهرية والباطنية، وبسط لنا بساط الرحمة والنعمة في مملكتنا الظاهرية والباطنية، ووضعها كلّها تحت قدرتنا لتسخيرها، وائتمننا عليها بلطفه ورحمته، وهي - هذه العطايا- طاهرة ونظيفة من كل القذارات الصورية والمعنوية وكذلك ما أنزل علينا من عالم الغيب كان بعيداً عن الشوائب والعناصر الغريبة، فإذا أرجعنا هذه الأمانات لدى لقائنا بالذات المقدس، من دون أن تصير ممزوجة مع عالم المادة، وقذارات المُلك والدنيا، كُنَّا أُمناء على الأمانة التي أودعت عندنا، وإن لم نحافظ على طهارة هذه الأمانات، غدونا من الخائنين والخارجين عن الإسلام الحقيقي، وملّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي الحديث المشهور إنّ (قَلْبَ المُؤمن عَرْشُ الرحْمن)، وفي الحديث القدسي المعروف "لا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلا سَمَائِي وَلكِنْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِيَ المُؤْمِنِ"(٩٤). فإنّ قلب المؤمن عرش الحق المتعالي، وسرير سلطنته وسكنى ذاته المقدّس، وإنّه سبحانه صاحب هذا البيت، فالالتفات إلى غير الحق خيانة للحق، والحب لغير ذاته الأقدس ولغير أوليائه الذين يُعتبر حبّهم حبّه سبحانه، خيانة لدى العرفاء.

وإنّ ولاية أهل بيت العصمة والطهارة، ومودّتهم، ومعرفة مرتبتهم المقدّسة، أمانة من الحق سبحانه. كما ورد في الأحاديث الشريفة في تفسير الأمانة في الآية ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾(٩٥) بولاية أمير المؤمنين عليه السلام. كما أن غصب خلافته وولايته، خيانةٌ لتلك الأمانة وأن رفض المتابعة للإمام علي عليه السلام مرتبة من مراتب الخيانة. وفي الأحاديث الشريفة.

إنّ الشيعي هو الذي يتّبع أمير المؤمنين عليه السلام اتّباعاً كاملاً وإلاّ فإن مجرد دعوى التشيَّع من دون الاتباع لا يكون تشيّعاً(٩٦).

---

(٩٤) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، ج ٧، ص ٢٣٤.

(٩٥) ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

(٩٦) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، الحديث التاسع والعشرون: وصيّة النبي لعليّ بخصال، فصل: في الإشارة إلى بعض أمانات الحق.

٧

الدرس السابع

أفعال الصلاة وآدابها المعنوية

الدرس السابع

أفعال الصلاة وآدابها المعنوية

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

١. يبيّن الآداب المعنوية المختلفة للقيام في الصلاة.

٢. يشرح الآداب المعنوية المختلفة للركوع في الصلاة.

٣. يبيّن الآداب المعنوية المختلفة للسجود في الصلاة.

حقيقة أفعال الصلاة

إنّ هدف الأنبياء العظام وتشريع الشرائع والأحكام ونزول الكتب السماوية وخصوصاً القرآن الشريف، هو نشر التوحيد والمعارف الإلهية وقطع جذور الكفر والشرك. وسرّ التوحيد سارٍ وجارٍ في جميع العبادات القالبية والقلبية أي في ظاهر العبادات وباطنها، بل إنّ أداء العبادات عبارةٌ عن إجراء التوحيد من باطن القلب إلى ظاهر البدن وهذا ما سبقت الإشارة إليه.

وللسالك إلى اللّه مهمّةٌ لا يجوز له الغفلة عنها مطلقاً في جميع مقامات السلوك، بل هذه المهمّة هي غاية السلوك ولبّ لبابه. وهي أن لا يغفل في جميع الحالات والمقامات عن ذكر الحق ويطلب في جميع المناسك والعبادات معرفة اللّه وتوحيده.

وفي الصلاة التي هي العبادة الجامعة يتجلّى التوحيد في أفعالها حيث إنه السرّ فيها، فالقيام إشارةٌ إلى التوحيد الأفعالي، بينما الركوع إشارةٌ إلى التوحيد الصفاتي، والسجود إشارةٌ إلى التوحيد الذاتي. وهذه الأفعال الثلاثة هي عمدة أحوال الصلاة، وسائر الأعمال والأفعال مقدّمات ومعدّات لها(٩٧).

---

(٩٧) للمزيد من الاطلاع راجع كتاب سرّ الصلاة حيث يشرح الإمام الخميني قدس سره العلاقة بين الأفعال الثلاثة وكل من التوحيد الأفعالي والصفاتي والذاتي في فصول: في أسرار القيام، في بعض أسرار الركوع، في سر السجود.

يقول الإمام الخميني: "اعلم أن عمدة أحوال الصلاة ثلاثة، وسائر الأعمال والأفعال مقدّماتها ومعدّات لها، الأول: القيام. والثاني: الركوع. والثالث: السجود. وأهل المعرفة يرون هذه الثلاثة إشارة إلى التوحيدات الثلاثة، ونحن ذكرنا تلك المقامات في كتاب سر الصلاة"(٩٨).

ويقول أيضاً: "اعلم أن أهل المعرفة يرون القيام إشارة إلى التوحيد الأفعالي، كما أن الركوع عندهم إشارة إلى التوحيد الصفاتي والسجود إلى التوحيد الذاتي، ويأتي بيانهما في محلّهما"(٩٩).

قوام الصلاة

إن الصلاة التي هي معراج المؤمن وقربان أهل التقوى، متقوّمةٌ بأمرين أوّلهما مقدّمة للآخر:

الأول: ترك رؤية النفس وإرادتها الذي هو باطن التقوى.

الثاني: إرادة الله وطلب الحق وهو حقيقة المعراج والقرب.

ولهذا ورد في الروايات الشريفة: "الصلاة قربان كل تقيّ"، فغاية السلوك هو طلب لقاء الله تعالى والقرب منه وهذه حقيقة كون الصلاة معراجاً.

وهذان الأمران يحصلان في الأفعال الثلاثة للصلاة أي القيام والركوع والسجود بالتدريج:

ففي القيام يتمّ ترك رؤية فاعلية النفس ورؤية فاعلية الحق وقيّومية الحق المطلق. فلا يرى المصلي لنفسه دخالة في الإتيان بالفعل بل يرى الفعل من الله تعالى ولا يرى أن قيامه في الصلاة هو من نفسه وفعلها، بل يراه من الله القيّوم.

وفي الركوع يتمّ ترك رؤية صفات النفس ورؤية مقام أسماء الحق وصفاته، فلا يرى لنفسه أية صفات كمالية بل ينسب جميع الصفات الكمالية لله تعالى، ويحصرها فيه عزّ وجل.

وفي السجود يتم ترك رؤية النفس مطلقاً، وحب الله وطلبه مطلقاً، فلا يرى المصلي لنفسه وجوداً بل يرى الوجود منحصراً به تعالى.

وفي المقاطع اللاحقة مزيد من الشرح والتوضيح حول هذه المقامات الثلاثة التي تتحقق في الأفعال الثلاثة.

---

(٩٨) الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، الباب الخامس في نبذة من آداب الركوع وأسراره، الفصل الثاني، في آداب الانحناء الركوعي.

(٩٩) م. س، الباب الثاني في القيام، الفصل الأول، في السر الاجمالي للقيام.

سرّ القيام وآدابه

يقول الإمام الخميني: "اعلم أن أهل المعرفة يرون القيام إشارة إلى التوحيد الأفعالي، كما أن الركوع عندهم إشارة إلى التوحيد الصفاتي والسجود إلى التوحيد الذاتي. وأما الكلام بأن القيام إشارة إلى التوحيد الفعلي فهو أن في نفس القيام إشارة إلى هذا وضعاً، وفي القراءة إشارة إليه لفظاً"(١٠٠).

ففي القيام إشارةٌ إلى التوحيد الأفعالي وضعاً(١٠١) ولفظاً أيضاً، فوضعية القيام أي قيام المصلّي ببدنه إشارةٌ إلى التوحيد الأفعالي، وكذلك فالقراءة في حال القيام إشارةٌ إليه لفظاً، وذلك لما تتضمّنه القراءة في الصلاة من معاني التوحيد والإقرار به.

ومعنى ذلك أن القيام إشارةٌ إلى قيام العبد بالحق، فلا قيام له من دونه تعالى ولا يمكن للإنسان أن يأتي بحركةٍ أو فعلٍ من نفسه وبنفسه، بل إن جميع أفعال الإنسان قائمةٌ بقيّوميّة الحق: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى**﴾(١٠٢).

فالآية الشريفة تنفي أن تكون الرماية صادرةً من الإنسان، وإنما تنسب الرماية إلى الله تعالى وهذا الأمر تعبيرٌ عن التوحيد الأفعالي وحصر الأفعال به عزّ وجلّ.

والأدب المعنوي للمصلّي في هذا المقام أن يتذكّر بقلبه هذه اللطيفة الإلهية بانحصار الأفعال به تعالى، ويذكّر القلب بحقيقة الفيض المقدّس لله تعالى وأنه هو الذي يفيض على عباده في كل شؤونهم. وعليه أن يوصل إلى باطن القلب حقيقة العلاقة والنسبة بين الحق والخلق، أي نسبة قيّومية الحق وتقوّم الخلق به، بمعنى أن كلّ شيءٍ في هذا الوجود قائمٌ به تعالى.

وأدبٌ آخر يكمن في النظر إلى محلّ السجود وهو التراب والنشأة الأصلية للإنسان، وكذلك في طريقة خضوع الرقبة وتنكيس الرأس أثناء القيام، في إشارةٍ إلى الذلّ والفقر والفناء تحت عزّ الكبرياء

(١٠٠) الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، الباب الثاني، الفصل الأول، في السر الاجمالي للقيام.

(١٠١) وضعاً: أي وضع وطريقة استقامة بدن المصلي ووقوفه أثناء قيام الصلاة.

(١٠٢) الأنفال: ١٧.

وسلطانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(١٠٣). فمن آداب القيام أيضاً تذكّر هذه الحقيقة.

ومن الآداب أيضاً أن يرى المصلّي نفسه حاضراً في محضر الحق، وأن ينظر إلى العالم باعتباره محضر الربوبية، ويعتبر نفسه من الحاضرين فيه بين يديّ الله، ويوصل إلى قلبه عظمة الحاضر والمحضر، ويفهّم القلبَ أهمية مناجاة الحق تعالى وخطرها، ويهيّئ قلبه قبل الورود في الصلاة بالتفكّر والتدبّر، ويفهّمه عظمة المطلب، ويلزمه بالخضوع والخشوع والطمأنينة والخشية والخوف والرجاء والذلّ والمسكنة إلى آخر الصلاة. ويشارط القلب أن يراقب هذه الأمور ويحافظ عليها ويتفكّر ويتدبّر في أحوال أعاظم الدين وهداة السبيل كيف كانت حالاتهم في الصلاة وكيف كانوا يتعاملون مع مالك الملوك، ويتّخذ من أحوال أئمة الهدى أسوةً لنفسه.

فعن مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال "فأمّا حقوق الصلاة فأن تعلم أنها وفادةٌ إلى الله وأنك فيها قائمٌ بين يدي الله، فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام العبد الذليل الراغب الراهب الخائف الراجي المسكين المتضرّع المعظّم، مقام من يقوم بين يديه بالسكينة والوقار وخشوع الأطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبته التي أحاطت بها خطيئته واستهلكتها ذنوبه، ولا قوة الا بالله"(١٠٤).

وعن إمامنا الرضا عليه السلام: "فإذا أردت أن تقوم إلى الصلاة فلا تقم إليها متكاسلاً ولا متناعساً ولا مستعجلاً ولا متلاهياً، ولكن تأتيها على السكون والوقار والتؤدة وعليك الخشوع والخضوع، متواضعاً لله عزّ وجلّ متخاشعاً عليك الخشية وسيماء الخوف، راجياً خائفاً بالطمأنينة على الوجل والحذر. فقف بين يديه كالعبد الآبق المذنب بين يدي مولاه فصفّ قدميك وانصب نفسك ولا تلتفت يميناً وشمالاً وتحسب كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"(١٠٥).

---

(١٠٣) فاطر:١٥.

(١٠٤) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٤٨.

(١٠٥) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ٤، ص٨٧.

آداب الركوع

١. أدب التكبير قبل الركوع:

يقول الإمام الخميني قدس سره: "والظاهر أن هذا التكبير من متعلّقات الركوع ولأجل تهيّؤ المصلّي للدخول إلى منزل الركوع. وأدبه أن ينظر المصلّي إلى مقام عظمة الحق وجلاله وعزّة الربوبية وسلطنتها ويجعل ضعف العبودية وعجزها وفقرها وذلّها نصب عينه. وفي هذا الحال يكبّر الحق تعالى عن التوصيف بمقدار معرفته بعزّ الربوبية وذلّ العبودية.

ويلزم أن يكون توصيف العبد السالك للحق تعالى وتسبيحه وتقديسه لمحض طاعة الأمر ولأن الحق تعالى أذن له في الوصف والعبادة. وإلا فليس له أن يتجاسر على التلفظ بالتوصيف والتعظيم في المحضر الربوبي، وهو عبد ضعيف، وفي الحقيقة لا شيء. وما لديه فهو أيضاً من المعبود العظيم الشأن. وفي حين يقول مثل علي بن الحسين بلسانه الولائي الأحلى الذي هو لسان الله "أفبلساني هذا الكالّ أشكرك؟ فماذا يتأتّى من بعوضة ضئيلة؟"[١٠٦]

فهذا التكبير له علاقة مباشرة بالركوع ومهمّته تهيئة المصلّي وتحضيره للدخول إلى مقام الركوع ليتمكّن من القيام بأدبه. وما لم يؤدّي المصلّي أدب التكبير فلن يؤدّي أدب الركوع.

وأدب التكبير هو أن ينظر المصلّي إلى مقام عظمة الحق فيستحضر جلاله تعالى وعزّة الربوبية وسلطنتها، وفي المقابل يديم النظر إلى ضعف العبودية وعجزها وفقرها وذلّها. وعند ذلك يكبّر ويعني بهذا التكبير أن الحق تعالى أكبر من أن يوصف، وذلك لما أدركه من الفرق بين عزّة ربّه وذلّه. وكلّما ازدادت معرفة المصلّي بعزّ الربوبية وما يقابلها من ذلّ العبودية، كلما كان تكبيره للحق عن التوصيف أعظم.

ويُضاف إلى هذا الأدب أدبٌ آخر يتمثّل في تنبّه المصلّي إلى أن توصيفه وتسبيحه وتقديسه للحق تعالى إنما هي امتثالٌ لأمر الله فقط، ولأنه تعالى أذن له في الوصف والعبادة. وإلا فليس من حق العبد أن يتجاسر على التلفّظ بالتوصيف والتعظيم في المحضر الربوبي لأنه ليس سوى عبد ضعيف،

(١٠٦) الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، الباب الخامس، في نبذة من آداب الركوع وأسراره، الفصل الأول.

وفي الحقيقة لا شيء. وكلّ ما لديه فهو من المعبود العظيم الشأن.

فإذا فرغ المصلّي من التكبير وأراد أن يرِد مقام الركوع العظيم، فلا بد له من التهيّؤ لذاك المقام. وأدب ذلك أن يرمي وراء ظهره توصيفه وتعظيمه وعبادته، ويرفع كفّيه الخاليتين باتجاه القبلة ويرِد مقام الركوع صفر اليدين وبقلبٍ مملوءٍ بالخوف والرجاء: خوف التقصير من القيام بمقام العبودية، والرجاء الواثق بالحق المقدّس حيث شرّفه وأذن له بالدخول إلى هذه المقامات التي هي لخلّص الأولياء وكمّل الأحبّاء.

٢. **آداب الانحناء الركوعي:**

يقول الإمام الخميني قدس سره: "وليعلم أن الركوع مشتمل على تسبيح الرب جلّ وعلا وتعظيمه وتحميده، فالتسبيح تنزيه عن التوصيف وتقديس عن التعريف"(١٠٧).

يشتمل الركوع على تسبيح الرب جلّ وعلا (سبحان ربي) وتعظيمه (العظيم) وتحميده (وبحمده). والتسبيح تنزيهٌ عن التوصيف وتقديسٌ عن التعريف والمعرفة، ومؤدّاه أن اللّه تعالى منزّهٌ عن الوصف والأوصاف، وهو أكبر من أن يعرّف بتعريف ومن أن يُعرَف.

والتعظيم يعني أنه لا شبيه له تعالى فهو أعظم من كل شيء ولا يُقارن به شيء. والتحميد يعني حمده على آلائه ومواهبه ونعمه التي أفاضها.

وفي مقام الركوع يدّعي المصلّي السالك أنه ليس في دار الوجود علمٌ ولا قدرةٌ ولا حياةٌ ولا إرادة إلا من الحق تعالى وهذا هو التوحيد الصفاتي الذي يتحقّق في الركوع كما أشرنا سابقاً حيث يقرّ بأن جميع الصفات الكمالية هي للحق تعالى وحده.

يقول الإمام الخميني قدس سره: "وهذا الادّعاء عظيمٌ والمقام دقيقٌ للغاية ولا ينبغي صدور هذه الدعاوى من أمثالنا، فلا بدّ أن نتوجّه بباطن ذاتنا إلى جناب الحق المقدّس بالتضرّع والمسكنة والذلّة ونعتذر عن القصور والتقصير ونرى نقصاننا بعين العيان وشهود الوجدان، فلعلّه يصدر عن هذا

(١٠٧) الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، الباب الخامس، في نبذة من آداب الركوع وأسراره، الفصل الثالث.

المقام المقدس توجّهٌ وعنايةٌ ويصير حال الاضطرار سبباً للإجابة من الذات المقدسة: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾(١٠٨).

فأدب الركوع إذاً، أن يتوجّه المصلّي بباطنه بتضرّعٍ ومسكنةٍ وذلّةٍ إلى الله تعالى، ويعتذر عن قصوره وتقصيره عن أن يقوم بحقيقة الركوع، ويقرّ بنقصه وفقره وعجزه، لعلّه بحالة الاضطرار والعجز هذه يحوز على العناية من الله تعالى.

وفي حديثٍ يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى فضل الركوع وبعض آدابه: "لا يركع عبدٌ لله ركوعاً على الحقيقة إلا زيّنه الله بنور بهائه وأظلّه في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفيائه، والركوع أولٌ والسجود ثان فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني، وفي الركوع أدبٌ وفي السجود قربٌ، ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضعٍ لله بقلبه متذلل وجِلٍ تحت سلطانه خافضٍ له جوارحه خفض خائفٍ حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين... واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط على همتك في القيام بخدمته إلا بعونه، وفرّ بالقلب من وساوس الشيطان وخدائعه ومكائده فإن الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع بقدر اطّلاع عظمته على سرائرهم"(١٠٩).

أسرار السجود وآدابه

في مقام السجود يدّعي المصلّي السالك أنه ليس في دار الوجود من موجود إلا الحق تعالى وهذا هو التوحيد الذاتي الذي يتحقق في السجود كما أشرنا، وسر ذلك يعود الى كون وضعية السجود تنفي ظهور أي شيء وحتى نفس المصلّي، ولا يبقى في المحضر إلا الله تعالى.

وعن السجود يقول الإمام الخميني: "وهو عند أصحاب العرفان وأرباب القلوب ترك النفس وغمض العين عمّا سوى الحق، والتحقق بالمعراج اليونسي الذي حصل بالغوص في بطن الحوت بالتوجّه إلى أصله بلا رؤية الحجاب، وفي وضع الرأس على التراب إشارة إلى رؤية جمال الجميل في باطن قلب التراب وأصل عالم الطبيعة.

(١٠٨) م. س، الفصل الثاني.

(١٠٩) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ١٠٨.

وآدابه القلبية عرفان حقيقة النفس وأصل جذر وجوده ووضع أم الدماغ وهي مركز سلطان النفس وعرش الروح على أدنى عتبة مقام القدس ورؤية عالم التراب عتبة لمالك الملوك.

فسرّ الوضع السجودي غمض العين عن النفس وأدب وضع الرأس على التراب إسقاط أعلى مقامات نفسه من العين ورؤيتها أقل من التراب"(١١٠). "...ووضع رؤساء الأعضاء الظاهرة التي هي محال الإدراك وظهور التحريك والقدرة وهي الأعضاء السبعة أو الثمانية على أرض الذلّة والمسكنة علامة التسليم التام وتقديم جميع قواه والخروج من الخطيئة الآدمية"(١١١).

فالسجود هو تعبيرٌ من المصلي عن تركه لرؤية نفسه وعن إغماض عينه عمّا سوى الحق تعالى، فعندما يسجد المصلّي فإنه لا يرى شيئاً حتى نفسه ويكون في وضعٍ ملائم تماماً للتوجّه بكليّته إلى مالك الملوك.

فالسرّ في الوضع السجودي هو إغماض العين عن النفس، ووضع الرأس على التراب هو بحدّ ذاته إسقاطٌ لأعلى مقامات النفس (وهو الرأس)، ورؤيتها أقلّ من التراب.

والسرّ في وضع الأعضاء الظاهرة أي مواضع السجود - وهي محالّ الإدراك والتحريك والقدرة لدى الإنسان - على الأرض هو إعلان الذلّة والمسكنة والتسليم التام من العبد لمولاه وتقديم جميع قواه لله تعالى.

ولذلك فإن الآداب القلبية للسجود تكمن في معرفة حقيقة النفس وأصل وجود الإنسان وتذكّر نشأته بوضع الرأس على التراب الذي هو أصل الإنسان.

ومن الآداب القلبية للسجود إظهار الفقر والمتربة والمسكنة وإظهار كمال الخضوع والتذلّل والتواضع، وترك الاستكبار والعجب وإرغام الأنف عبر وضع الجبهة وهي مركز سلطان النفس وأشرف ما في الإنسان على أدنى عتبة لمالك الملوك وهي التراب(١١٢).

فإذا قوي تذكّر هذه المعاني في القلب فإنّه ينفعل بها تدريجياً، فتحصل لديه حالةٌ هي حالة الفرار من النفس وترك رؤية النفس، ونتيجة هذه الحال حصول حالة الأنس بالله تعالى وبعبادته وتتحقّق الغاية من الصلاة المعراجية.

---

(١١٠) الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، الباب السادس في الإشارة الإجمالية إلى أسرار السجود وآدابه،الفصل الأول.

(١١١) م. ن، الآداب المعنوية للصلاة، الباب السادس في الإشارة الإجمالية إلى أسرار السجود،الفصل الثالث.

(١١٢) راجع الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة، الباب السادس في الإشارة الإجمالية إلى أسرار السجود،الفصل الثالث.

وينبغي أن لا يدّعي السالك هذه المعاني إن لم يكن متحققاً بها فعلاً، وإنّما عليه أن يتمسّك بعناية الحق جلّ وعلا ويسأله العفو عن تقصيره بالذلّة والمسكنة، لأن هذا المقام مقامٌ خطيرٌ جداً في نظر أرباب المعرفة.

ويمكن لنا أن نطّلع على آداب السجود في رواية شريفةٍ واردةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام: "ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرّة واحدة، وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال تشبيهاً بمخادع نفسه غافلاً لاهياً عمّا أعدّه الله للساجدين من أنس العاجل وراحة الأجل. ولا بعد عن الله أبداً من أحسن تقرّبه في السجود، ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعلّق قلبه بسواه في حال سجوده. فاسجد سجود متواضعٍ لله تعالى ذليلٍ علم أنه خلق من ترابٍ يطؤه الخلق وأنه اتّخذك (ركب) من نطفةٍ يستقذرها كلّ أحد وكوّن ولم يكن. وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسرّ والروح فمن قرب منه بعد من غيره، ألا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلا بالتواري عن جميع الأشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون؟ كذلك أمر الباطن فمن كان قلبه متعلّقاً في صلاته بشيءٍ دون الله تعالى فهو قريب من ذلك الشيء بعيدٌ عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته، قال عزّ وجلّ: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله تعالى: لا أطّلع على قلب عبدٍ فأعلم فيه حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلا تولّيت تقويمه وسياسته ومن اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه ومكتوبٌ اسمه في ديوان الخاسرين"[113].

وقد جمع عليه السلام في هذا الحديث الشريف بين الأسرار والآداب، والتفكّر فيه يفتح للسالك إلى الله طرقاً من المعرفة ويقرع السمع بحقيقة الأنس والخلوة مع الحق وترك غير الحق.

المفاهيم الرئيسة

١. يتجلّى التوحيد في أفعال الصلاة التي هي العبادة الجامعة حيث إنه السرّ فيها، فالقيام إشارةٌ إلى التوحيد الأفعالي، بينما الركوع إشارةٌ إلى التوحيد الصفاتي، والسجود إشارةٌ إلى التوحيد الذاتي.

---

(١١٣) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ١٣٦.

٢. الآداب المعنوية للمصلّي في القيام: أن يتذكّر بقلبه انحصار الأفعال به تعالى، وأن يوصل إلى باطن القلب حقيقة العلاقة والنسبة بين الحق والخلق.

٣. أدب التكبير قبل الركوع هو أن ينظر المصلّي إلى مقام عظمة الحق فيستحضر جلاله تعالى وعزّة الربوبية وسلطنتها، وفي المقابل يديم النظر إلى ضعف العبودية وعجزها وفقرها وذلّها. وأن يتنبّه المصلّي إلى أن توصيفه وتسبيحه وتقديسه للحق تعالى إنما هي امتثالٌ لأمر الله فقط، وإلا فليس من حق العبد أن يتجاسر على التلفّظ بالتوصيف..

٤. في مقام الركوع يدّعي المصلّي السالك أنه ليس في دار الوجود علمٌ ولا قدرةٌ ولا حياةٌ ولا إرادة إلا من الحق تعالى وهذا هو التوحيد الصفاتي الذي يتحقّق في الركوع.

٥. في مقام السجود يدّعي المصلّي السالك أنّه ليس في دار الوجود من موجود إلا الحق تعالى وهذا هو التوحيد الذاتي الذي يتحقّق في السجود كما أشرنا، وسر ذلك يعود إلى كون وضعية السجود تنفي ظهور أي شيء وحتى نفس المصلّي، ولا يبقى في المحضر إلا الله تعالى.

٦. من الآداب القلبية للسجود إظهار الفقر والمتربة والمسكنة وإظهار كمال الخضوع والتذلّل والتواضع، وترك الاستكبار والعجب وإرغام الأنف عبر وضع الجبهة وهي مركز سلطان النفس وأشرف ما في الإنسان على أدنى عتبة لمالك الملوك وهي التراب.

أسئلة الدرس

ضع إشارة ✓ أو ✗ في المكان المناسب:

١. (   ) يتجلّى التوحيد بجميع مراتبه في كل فعل من أفعال الصلاة.

٢. (   ) إنّ الصلاة متقوّمةٌ بأمرين أوّلهما مقدّمة للآخر: الأول: طلب الوصول إلى الحق تعالى وهو حقيقة المعراج والقرب، والثاني: ترك رؤية النفس وإرادتها الذي هو باطن التقوى.

٣. (   ) التوحيد الأفعالي هو قيام العبد بالحق، أي لا قيام له من دونه تعالى ولا يمكن للإنسان أن يأتي بحركةٍ أو فعلٍ من نفسه وبنفسه.

٤. (   ) تتحقّق المعراجية في الصلاة بأن يتم في الركوع ترك رؤية النفس مطلقاً، وحبّ الله وطلبه مطلقاً.

٥. (   ) من الآداب المعنوية للمصلّي أثناء القيام أن يتذكّر بقلبه انحصار الأفعال به سبحانه تعالى.

٦. (   ) أدب التكبير قبل الركوع هو أن ينظر المصلّي إلى مقام عظمة الحق فيستحضر جلاله تعالى وعزّة الربوبية وسلطنتها.

٧. (   ) التوحيد الصفاتي في مقام الركوع هو أن يعتقد المصلّي السالك أنه ليس في دار الوجود علمٌ ولا قدرةٌ ولا حياةٌ ولا إرادة إلا من الحق تعالى.

٨. (   ) التوحيد الذاتي أن يعتقد المصلّي السالك أنه ليس في دار الوجود من موجود إلا الحقّ تعالى.

٩. (   ) أدب الركوع أن يتوجّه المصلّي بباطنه بتضرّعٍ ومسكنةٍ وذلّةٍ إلى الله تعالى فيرى نفسه مستقلّاً عن الله تعالى.

١٠. (   ) من الآداب القلبية للسجود إظهار الفقر والمتربة والمسكنة وإظهار كمال الخضوع والتذلّل والتواضع.

للمطالعة

في بيان سرِّ رفع اليدين

... إنّ رفع اليدين لدى التكبير في الصلاة، يُعدّ من زينة الصلاة، كما أنّ صلاة جبرائيل عليه السلام، وملائكة السماوات السبع، تكون على هذا الغرار، كما ورد عن الأصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى النَّبي صلى الله عليه وآله "فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ" قالَ: "يا جِبْرائِيلُ ما هذه النُّحَيْرَة الَّتي أَمَرَ بِها رَبِّي"؟ قالَ: "يا مُحَمَّدُ إنَّها لَيْسَتْ بِنُحَيْرَةٍ، وَلكِنّه يَأمُرُكَ إذا تَحَرَّمْتَ لِلصَّلاةِ أَنْ تَرْفَعَ يَدَيْكَ إذا كَبَّرْتَ وإذا رَكَعْتَ وإذا رَفَعْتَ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكوعِ وإذا سَجَدْتَ فَإنَّها صَلاتُنا وَصَلاةُ المَلائِكَةِ في السَّماواتِ السَّبْعِ وأَنَّ لِكُلِّ شيءٍ زِينَة وإِنَّ زِينَةَ الصَّلاةِ رَفْعَ الأَيْدِي عِنْدَ كُلِّ تَكْبِيرَة"(١١٤).

ونقل عن الإمام الرضا عليه السلام كما في كتابي (علل الشرائع) و(عيون الأخبار) قال: "إنَّما تُرْفَعُ اليَدانِ بِالتَّكْبِيرِ لأَنَّ رَفْعَ اليَدَينِ ضَرْبٌ مِنَ الابْتِهالِ وَالتَّبَتُّلَ وَالتَّضَرُّعِ فَأَحَبَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يكُونَ العَبْدُ في وَقْتِ ذِكْرِه لَهُ مُتَبَتِّلاً مُتَضَرِّعاً وَلأَنَّ في رَفْعِ اليَدَيْنِ إِحْضارُ النِّيَةِ وَإِقْبالُ القَلْبِ"(١١٥). وهذا الكلام يتطابق مع ما يقول بعض أهل المعرفة في فلسفة رفع اليدين لدى التكبير من إلقاء غير الله وراء ظهره، واقتلاع أشواك طريق الوصول إلى الحبيب، وجعل نفسه منقطعةً عن الغير وخالصةً مخلصةً له - من دون أدنى توجّه إلى الغير والغيرية الذي يُعدّ في مذهب العشّاق والمحبّين شركاً بالله سبحانه - ثم يبدأ معراجه الحقيقي الروحاني، والسفر إلى الله. وهذا السفر والمعراج لا يمكن أن يتحقّق من دون رفض الغير والغيرية وترك الذات والأنانية. كما أن مع التكبيرات السبعة الافتتاحية نخرق الحجب السبعة الملكية والملكوتية نهائياً. ففي كلّ تكبيرةٍ من التكبيرات السبعة من صلاة الأولياء خرقٌ لحجاب، ورفضٌ لعوالم ذلك الحجاب وللقاطنين فيها(١١٦).

---

(١١٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٤٦.

(١١٥) م.ن.

(١١٦) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، الحديث التاسع والعشرون: وصيّة النبي لعليّ بخصال، فصل: في بيان سر رفع اليدين.



٨

الدرس الثامن

صلة الرحم

الدرس الثامن

صلة الرحم

ماذا تمثّل صلة الرحم:

إنَّ مـن أعظـم النعم الإلهية التي أنعم الله بها على الإنسـان، أن خلقه وأوجده في هذه الحياة، ولأنّ الله عالم بالإنسـان وما يحتاجه من أمور لتنظيم حركة الإنسـان وسلوكه ومعاملاته. فقد جعل لهذا الإنسـان قواعد وقوانين تنظِّم حياته؛ حتى يعيش الناس علاقاتٍ ومعاملاتٍ صحيحة تساهم في بناء الحيـاة بناءً سـليماً صـحيحًا. ومن الأمور التي شـرّعها الله هي صـلة الأرحام، التـي تمثّل حالةً من الترابط المتميِّز بين فئة معينة من البشـر؛ هي فئة الأرحام، وهي التي اصـطلح عليها بصـلة الرحم. وقد جعل الله لها أحكامًا وشدّد عليها؛ لأهميّتها، وعظم آثارها الإيجابيّة.

آيات في صلة الرحم:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحدَة وَخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ منْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾(١١٧)

التكليف بصلة الرحم:

وقد أشـارت الآية الكريمة إلى أنّ الإنسـان مُسـاءل عمّا كُلِّف به وعُهِد إليه، ومن ذلك الأرحام، وإنَّ الذي يؤدّي تكليفه فإنَّه قد برّأ ذمّته من عهدة التكليف، ومن لم يقم بذلك فإنَّه قد ارتكب إثمًا عظيمًا.

جزاء من يصل ما أمر الله به:

يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ**﴾(١١٨)

ثم تواصـل الآيات الكريمة تبيان جزاء من يصـل ما أمر الله به أن يوصل، حيث يقول تـعالى شأنه: ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**﴾(١١٩).

---

(١١٧) النساء: ١.

(١١٨) الرعد: ٢٠.

(١١٩) الرعد: ٢١.

ذلك لأنَّهم قد التزموا بما عهد إليهم وقاموا بتكليفهم وواجبهم الشرعيّ، فاستحقوا بذلك المغفرة والرضوان.

س: ما المراد بـ"الرحم"، وكيف تكون "الصلة"؟

ج: الرحم الواجب صلتهم هم الأقارب عرفًا لا مطلق الأنساب، وأمّا الصلة فتتحقق بكلِّ ما يؤدي للتواصل واستمرار المعرفة والإحسان، بمعنى أنَّ الصلة هي كلُّ ما يسمى برًا، كالزيارة وقضاء الحوائج وعيادة المريض من الأقارب.

جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (أوصي الشاهد من أمتي والغائب، ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء، إلى يوم القيامة: أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة، فإنَّ ذلك من الدين).[١٢٠]

روايات في صلة الرحم:

وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال حين سئل: أي الناس أفضل؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أتقاهم لله، وأوصلهم للرحم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر).[١٢١]

وجاء عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من ضمن لي واحدة ضمنت له أربعة: يصل رحمه، فيحبه الله تعالى، ويوسع عليه رزقه، ويزيد في عمره، ويدخله الجنة التي وعده).[١٢٢]

صلة الرحم مدعاة لرضوان الله:

ويتبين من ذلك أنَّ صلة الرحم هي إضافة لكونها حركة تواصل إنسانيّة وارتباط بين الفروع والأصول؛ لتعميق المحبة والمودة والتآزر الاجتماعي، فهي أيضًا تمثِّل امتثالاً لأوامر الله سبحانه وتعالى، وبذلك يعيش الإنسان حركة التقوى؛ ليكتسب المغفرة من الله وينال رضوانه.

---

(١٢٠) جامع السعادات، ج٢، ص٢٥٩.

(١٢١) نفس المصدر، ص٢٥٩.

(١٢٢) أخلاق أهل البيت، السيد مهدي الصدر، ص ٢٩٩.

س: ماذا يحدث لو قطع الإنسانُ رَحِمَه؟

ج: ما دامت صلة الرحم تمثِّل طاعة من أفضل الطاعات، وتمثِّل وصلاً لما أمر الله به أن يوصل، فإنّ لقطيعة الرحم عذابًا ونقمة، وهي من الذنوب الكبيرة التي تهدم الأجل وتسبِّب الفقر والهمَّ للإنسان في الدنيا وفي الآخرة، وموجبة لدخول النيران واستحقاق العقاب.

وقد بيَّنت الآيات الشريفة والأحاديث النبويّة والروايات المقدّسة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فضل صلة الرحم وقدر هذه الطاعة وعظيم منزلتها ومنزلة من يؤدّيها. وقال فيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (أعجل الخير ثوابًا صلة الرحم).[١٢٣]

وأيضاً في المقابل فقد بيّنت الآيات والروايات النتائج الوخيمة لقطع الرحم، فقد قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١٢٤]

وجاء عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، ومدمن سحر، وقاطع رحم).[١٢٥]

وعن الإمام علي عليه السلام: (حلول النقمة من قطيعة الرحم).[١٢٦]

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (الذنوب التي تعجل الفناء قطيعة الرحم).[١٢٧]

وعنه عليه السلام: (اتقوا الحالقة، فإنّها تميت الرجال)، قلت – الراوي – وما الحالقة؟ قال عليه السلام: قطيعة الرحم.[١٢٨]

آثار صلة الرحم:

١) محبة الله. ٢) التوسعة في الرزق. ٣) طول العمر. ٤) دخول الجنة. ٥)من أعجل الخير ثوابًا.

آثار قطع الرحم:

١)عدم دخول الجنة. ٢)تعجيل الفناء. ٣)حلول النقمة

(١٢٣) جامع السعادات، ج٢، ص٢٥٩.

(١٢٤) البقرة: ٢٧.

(١٢٥) البرنامج التعليمي، هيئة محمد الأمين، ص١١٤.

(١٢٦) المصدر نفسه.

(١٢٧) المصدر نفسه.

(١٢٨) التفسير المعين، ص٥٠٩.

للمتأملين

(١) جاء عن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له إنّ إخوتي وبني عمّي قد ضيّقوا عليّ الدّار وألجأوني منها إلى بيت ولو تكلمت أخذت – أي أخذوا منه الدار التي ورثوها جميعًا عن جدهم كما في الخبر، ولو أنه نازعهم وتكلم معهم أمكنه استرجاع نصيبه – ما في أيديهم، قال: فقال لي عليه السلام: اصبر فإن الله سيجعل لك فرجًا، قال: فانصرفت، ووقع الوباء سنة إحدى وثلاثين ومائة – وهو وباء الطاعون – فماتوا واللهِ كلُّهم، فما بقي منهم أحد، قال: فخرجت، فلمّا دخلت عليه، قال: ما حال أهل بيتك؟ قال: قلت له: قد ماتوا والله كلُّهم، فما بقي منهم أحد، فقال عليه السلام: هو بما صنعوا بك وبعقوقهم إيّاك وقطع رحمهم بُتروا – أي قطِّعُوا واسْتُئْصِلوا – أتُحبُّ أنّهم بقوا وأنهم ضيَّقوا عليك؟ قال: قلت: إي والله[١٢٩].

(٢) وفي خبر عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنّه دخل عليه يعقوب المغزلي، قال له عليه السلام: يا يعقوب قدمت أمس ووقع بينك وبين أخيك شرٌّ في موضع كذا وكذا حتى شتم بعضُكُم بعضًا، وليس هذا ديني ولا دين آبائي ولا نأمر بهذا أحدًا من الناس، فاتق الله وحده لا شريك له، فإنَّكما ستفترقان بموت، أما إنَّ أخاك سيموت في سفره قبل أن يصل إلى أهله، وستندم أنت على ما كان منك، وذلك أنَّكما تقاطعتما فبتر الله أعماركما فقال له الرجل: فأنا جعلت فداك متى أجلي؟ فقال عليه السلام: أما إنَّ أجلك قد حضر، حتى وصلت عمتك بما وصلتها به في منزل كذا وكذا فزيد في أجلك عشرون.

قال شعيب (شعيب العقرقوفي وهو راوي الخبر): فأخبرني الرجل ولقيته حاجًا أن أخاه لم يصل إلى أهله حتى دفنه في الطريق.

(١٢٩) أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، ص٣٠٢–٣٠٣.

أسئلة الدرس

س١ : ما المقصود بصلة الرحم؟

....

....

س٢ : لماذا تعدُّ صلة الرحم عملية قدسية ومن صميم الدين؟ استشهد بآية.

....

....

....

....

....

....

س٣: ما الذي يترتب على قطع الرحم، استشهد على ذلك بحديث؟

....

....

....

....

س٤ : أكمل الحديث:

- عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إنَّه قال: أوصي الشاهد من أمتي والغائب ....

....

- عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إنه قال: من ضمن لي واحدة ....

....

- عن الإمام الصادق عليه السلام إنه قال: الذنوب التي ....

....

٩

الدرس التاسع

الأمانة

الدرس التاسع

الأمانة

رعاية الأمانة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[١٣٠]

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[١٣١]

معنى الأمانة:

الأمانة هي المحافظة على ما للغير المودع عند الإنسان المؤتمن، وقد أمر الله تعالى عباده بأن يحافظوا على أماناتهم، واعتبرها من صفات المؤمنين وحسن الخلق، وهي تكون أيضًا ملازمةً للصدق، إذا لا يمكن تصوّر الأمانة مع عدم الصدق.

ما أهميّة الأمانة؟

شيوع الأمانة بين الناس باعتبارها سلوكًا وخُلُقًا معناه: أنّ المجتمع تسوده حالة الأمان، ويأمن فيه الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فيعمَّ الاستقرار حياة الناس فتنتظم أمورهم وتتحقق مدنيَّتهم واجتماعيَّتهم المميِّزة لهم عن سائر المخلوقات.

تأكيد القرآن و حثّه على الأمانة:

ولذلك نجد أنَّ القرآن العظيم قد أكَّد على الأمانة تارةً باعتبارها سلوكًا إنسانيًا يجب التقيّد والتحلّي به،

وأخرى باعتبارها من صفات المؤمنين الذين هم يحافظون على العهود والأمانات.

ولأنّ الأمانة تمثّل حالة متقدمة في النفس وتعتبر من السلوكيّات الدالّة على الخُلُق العظيم وحياة التقوى والمبدأ الذي يعيشه الإنسان، لذلك جاء الحثُّ من الله سبحانه وتعالى على وجوب مراعاة الأمانة والتحذير من خيانتها، والتقصير فيها.

---

(١٣٠) المؤمنون: ٨.

(١٣١) النساء: ٥٨.

الآيات والروايات تشدّد على حفظ الأمانة:

قال تعالى: ﴿ **فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ** ﴾[١٣٢]

وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي عرف بالصادق الأمين من قبل بعثته المباركة، أنّه قال: (لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف، وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة).[١٣٣]

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (أدُّوا الأمانات ولو إلى قاتل ولد الأنبياء).[١٣٤]

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (من ائتمنك بأمانة فأدِّها إليه، ومن خانك فلا تخنه).[(١٣٥)]

وجاء عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (من خان أمانة في الدنيا ولم يردَّها إلى أهلها، ثم أدركه الموت، مات على غير ملَّتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان).[١٣٦]

س: ما هي آثار الأمانة؟

ج: الأمانة باعتبارها سلوكًا إنسانيًا راقيًا، فإنّ له على حياة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة الكثير من الفوائد والآثار. ففي الدنيا يعيش الإنسان حالة الأمان والاستقرار والطمأنينة وفي الآخرة الثواب العظيم.

جاء عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (الأمانة تجلب الغنى، والخيانة تجلب الفقر).[١٣٧]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (أداء الأمانة يجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر).[١٣٨]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تزال أُمَّتي بخير ما لم يتخاونوا، وأدَّوا الأمانة، وآتوا الزكاة، فإذا لم يفعلوا ذلك، ابتلوا بالقحط والسنين).[١٣٩]

---

(١٣٢) البقرة: ٢٨٣.

(١٣٣) البرنامج التعليمي، ص ١٣٥.

(١٣٤) نفس المصدر، ص ١٣٥.

(١٣٥) البرنامج التعليمي.

(١٣٦) نفس المصدر.

(١٣٧) نفس المصدر.

(١٣٨) أخلاق أهل البيت، ص٦٥.

(١٣٩) نفس المصدر، ص٦٥.

وجاء عن لقمان الحكيم عليه السلام: (يا بُنيَّ أدِّ الأمانة تسلم لك دنياك وآخرتك، وكن أمينًا تكن غنيًّا).[١٤٠]

وقفة مهمّة:

من خلال ما تقدّم يتبيَّن أنَّ للأمانة آثارًا قد لا يستوعبها البعض فمثلاً:

قد يعتقد البعض أنّ خيانة الأمانة ستؤدي إلى الغنى والحال أنّ الروايات تشير إلى أنّ الخائن للأمانة يجلب لنفسه الفقر.

تشير الروايات إلى أنّ أداء الأمانة يجلب الغنى والرزق للأمين.

س: من نأتمن؟

ج: قلنا أنَّ القرآن الكريم قد عدَّ الأمانة من صفات المؤمنين، كما أنّها كصفة يجب أن يتحلّى بها الناس جميعًا لمناسبتها للطبع الإنساني.

ولكن من هو الذي يُستأمَن من الناس، فالعقل يقضي أنَّ الأمانة لا تُدفع إلاّ لِمن عُرِف بالأمانة والصدق والاستقامة، فمن استأمن من لا أمان له فهو قد تسبَّب في ضياع ماله وأمانته.

جاء عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (من ائتمن غير أمين فليس له على الله ضمان لأنّه قد نهى أن يأتمنه).[١٤١]

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (لم يخنك الأمين، ولكن ائتمنت الخائن).[١٤٢]

وعنه عليه السلام أنّه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من ائتمن شارب الخمر على أمانة بعد علمه فليس له على الله ضمان ولا أجر ولا خلق).[١٤٣]

---

(١٤٠) البرنامج التعليمي، ص١٣٦.

(١٤١) نفس المصدر.

(١٤٢) البرنامج التعليمي.

(١٤٣) وسائل الشيعة ج١٣ ص٢٣١.

للمتأملين

(١) روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: كان لموسى بن عمران عليه السلام جليس من أصحابه قد وعى علمًا كثيرًا، فاستأذن موسى في زيارة أقارب له، فقال له موسى عليه السلام: إنَّ لصلة القرابة حقًّا ولكن إيّاك أن تركن إلى الدنيا، فإنَّ الله قد حَمّلك علمًا، فلا تضّيعه وتركن إلى غيره.

فقال الرجل: لا يكون إلاّ خير، ومضى نحو أقاربه، فطالت غيبته فسأل موسى عليه السلام عنه فلم يخبره أحد بحاله، فسأل جبرئيل عنه، فقال له: أخبرني عن جليسي فلان ألك به علم؟ قال: نعم، هو ذا على الباب قد مسخ قردًا، في عنقه سلسلة، ففزع موسى إلى ربه، وقام إلى مصلاّه يدعو الله ويقول: يا ربِّ صاحبي وجليسي. فأوحى الله إليه: يا موسى، لو دعوتني حتى تنقطع ترقوتك ما استجبت لك فيه، إنّي كنتُ حَمّلتُه علمًا فضيَّعه وركن إلى غيره.

(٢) يروى أنَّ أحد العلماء خارت قواه بسبب ما أصابه من الضعف نتيجة الجوع والهزال إلى أن تداركه أحدُ المؤمنين وقدّم له الطعام الذي أعاد له شيئًا من صحته.

وفي أثناء جلوسه في مجلسه، دخل عليه أحدُ علماء الدين يسأله شيئًا من المال فاستوى هذا العالم الجليل، وقام وأدخل يده في صندوق كان قد وضعه في كُوة الحجرة التي يقيم فيها واستخرج منه بعض المال وأعطاه لهذا العالم الذي جاءه يسأل.

وما لبث غير فترة يسيره إلاّ وقد جاءه رجلٌ آخر ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت عليه آثار الحاجة، فأعطاه كما أعطى سابقة.

فتعجَّب بعضُ الحاضرين في مجلس الشيخ وسألوه: كيف يكونُ عندك كلُّ هذا المال، ويحلُّ بك ما حلَّ من الجوع والفاقة؟

فأجابهم: هذه الأموال ليست لي، وإنَّما هي أمانة وَضَعها النّاسُ عندي؛ لكي أوصلها إلى مستحقيها، ولو تصرفت بها لكنتُ خائنًا للأمانة، وإنَّ أعظم الخيانة خيانة الأمة.

أسئلة الدرس

س١ : بيِّن ما هي الأمانة، وما هي أهميتها؟

....

....

....

....

س٢ : ما الدليل على أن الأمانة خصلة إيمانية قد شجع الدين عليها؟

الآية: ....

....

عن الرسـول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : ....

....

عن الإمام الصــادق عليه السلام:..

....

س٣: ما هي أبرز الآثار والنتائج التي يحصل عليها الإنسان من التزامه بالأمانة:

....

....

....

....

س٤: أعد ترتيب الحديث:

الخائن	ائتمنت	يخنك	ولكن	لم	الأمين

عن الإمام الصــادق عليه السلام:..

....

١٠

الدرس العاشر

الخيانة

الدرس العاشر

الخيانة

وهي من أكثر الصفات قبحًا، وكفى بها قباحة ودناءة أنّها من صفات أهلِ الغدر والفسق والفجور.

الآيات في ذمِّ الخيانة وقبحِها:

والخائن هو مفسد في الأرض ومضيِّع للحقوق والأمانات التي أمر الله تعالى أن تؤدَّى إلى أهلها، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**(١٤٤) وقال عزَّ من قائل: **﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**(١٤٥)

الخائن خاسر ومضيّع لمكانته:

وإنَّ الخائـن هـو ذاك الذي تخلَّى عن مكانته الإنسـانية التي أراده الله تعـالى أن يكون فيها ورمى كلَّ صـفات الإنسـان وراء ظهره وتلبَّس بلباس أهل الشيطان الذي لا أمان له وهو يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

ماذا تمثّل الخيانة:

مورد لغضب الله، وليست من الدين:

فقد روي عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (من خان أمانة في الدّنيا ولم يردَّها إلى أهلها ثم أدركه الموت، مات على غير مِلَّتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان).(١٤٦)

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (ليس منَّا من خان بالأمانة).(١٤٧)

رأس النفاق: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (رأس النفاق الخيانة).(١٤٨)

---

(١٤٤) الأنفال: ٢٧.

(١٤٥) الأنفال: ٧١.

(١٤٦)(١) الحكم الزاهرة ج١ ص٢٩٢.

(١٤٧) نفس المصدر.

(١٤٨) البرنامج التعليمي، ١٣٨.

قِلّة ورع: عنه عليه السلام: (الخيانة دليلٌ على قِلّة الورع وعدم الديانة).[١٤٩]

شرٌّ معصية: وعنه عليه السلام: (إيّاك والخيانة، فإنّها شرٌّ معصية، وإنَّ الخائن لمعذَّب بالنار على خيانته).[١٥٠]

الوصية بعدم الخيانة:

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام: في تفسيره للآية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[١٥١]

قال عليه السلام: (خيانة الله والرسول معصيتهما، وأمّا خيانة الأمانة فكلُّ إنسان مأمون على ما افترض الله عزَّ وجلَّ عليه).[١٥٢])

س: ما هي مجالات أو مواضيع الخيانة؟

ج: ليس للخيانة موضوع محدّد، فمجالاتها أو مواضيعها متنوعة، فقد تكون:

متعلقة بأمانات ماديّة:

حيث يستأمنه إنسان على مال أو ما شابه فلا يردّه عليه. وجاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (من استهان بالأمانة وقع في الخيانة).

متعلقة بكتمان الأسرار:

حيث يستأمنه إنسان على سر، فلا يحافظ عليه ويفشيه. وجاء عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (إفشاء سر أخيك خيانة فاجتنب ذلك).

متعلقة بخيانة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

عند معصيتهما كالابتعاد عن خط الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم.

متعلقة بكون الإنسان أمينًا للخونة:

وعن الإمام الجواد عليه السلام: (كفى بالمرء خيانةً أن يكون أمينًا للخونة).

(١٤٩) نفس المصدر.

(١٥٠) نفس المصدر.

(١٥١) الأنفال: ٢٧.

(١٥٢) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص١٤٤.

علامة الخائن في روايات أهل البيت.

جاء في حديث منقول عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم :

(أمَّا علامة الخائن فأربعة: عصيان الرحمن، وأذى الجيران، وبغض الأقران، والقرب إلى الطغيان).[١٥٣]

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (غاية الخيانة، خيانة الخِلِّ الودود، ونقض العهود).[١٥٤]

وعنه عليه السلام: (أفحش الخيانة، خيانة الودائع).[١٥٥]

إلى غير ذلك من الأحاديث والروايات الشريفة عن النبي وأهلِ بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتي تضمَّنت بيان علامات الخائن.

والخلاصة:

من أبرز علامات الخائن:

١. عصيان الله تعالى.
٢. أنّه مؤذٍ لجيرانه ولمن ائتمنه.
٣. أنّه مبغضٌ للناس.
٤. يميل إلى الطغيان في طباعه.
٥. دائم النقض للعهود ولا يحفظ وديعة.
٦. لا ينصح في علم، وسلوكه الكذب والغش والغدر

(١٥٣) ميزان الحكمة ج٣ ص١٩٧.

(١٥٤) نفس المصدر.

(١٥٥) نفس المصدر.

للمتأملين

(١) نقل عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه هذه الكلمات الذهبية:
أثوار ثلاثة كُنَّ في أجمة – شجر كثيف ملتف على بعضه وجمعها آجام – أبيض، وأسود، وأحمر، ومعهُنَّ فيها أسد، فكان لا يقدرُ منهُنَّ على شيء لاجتماعهنَّ عليه.
فقال للثور الأسود، والثور الأحمر: لا يدلُّ علينا في أجمتنا إلاّ الثور الأبيض، فإنّ لونه مشهور، ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكله صفت لنا الأجمة.
فقالا له: دونك فكله!، فأكله، فلمّا مضت الأيام، قال للأحمر: لوني على لونك فدعني آكلُ الأسود؛ لتصفو لنا الأجمة. فقال: دونك فكُله! ثم قال للأحمر: إنّي آكلك لا محالة، فقال: دعني أنادي ثلاثًا، فقال: افعل. فنادى ألا إنّي أُكِلتُ يوم أُكِلَ الثورُ الأبيض.

(٢) يُحكى أنَّ رجلاً كان يتعامل في التجارة، وكانت تجارته في الدهن والصوف... فكان يُحضِرُ بضاعته من الأرياف، ومن كثرة تردّده على أحد الأرياف تعّرف إلى أحد الأشخاص الذي كان يساعده في تجهيز وتوفير بضاعته من ذلك الريف، ومضى زمان على صحبتهما وتعاملهما معًا، وذات مرة، نزل كعادته لذلك الريف، وكان عازمًا على شراء كميّةٍ كبيرة من البضاعة، لذا فقد حمل معه مبلغًا كبيرًا؛ ليغطّي نفقات سفرته وثمن بضاعته، وكالعادة نزل عند صاحبه فأخبره عن قصده وعمّا يحمل معه، فسال لعاب ذلك الصاحب وبدت عليه علامات التغيُّر والطمع والرغبة في الاستحواذ على مال هذا الضيف، حتى لمح الضيفُ علاماتِ الغدر على وجه المُضيف، فأوجس خيفةً في نفسه، ولكن كيف السبيل وإلى أين يلجأ وهو غريب عن هذه البلدة، فاستعان بالله وصبر إلى أن حان موعد العشاء، قدَّم له المضيف عشاءه ثم هيأ له غرفة لينام فيها، وذهب عنه، لكن النوم لم يزر هذا التاجر، فامتزج الخوف والقلق في نفسه فظلَّ متيقّظًا يفكِّرُ في أمره، وأخيرًا تقفز في ذهنه فكرة الاختباء في زاوية من زوايا البيت أو أيّ مكان يؤويه حتى مطلع الصباح، فبحث فلم يجد غير الإسطبل يختبئ فيه، فخبّأ نفسه داخل كومة من التبن، وبدأ يراقب الوضع من خلال أعواد التبن، وفي هذه الأثناء، وإذا به يحس بحركة في عتمة الظلام وإذا بخيال شخص يتجه نحو تلك الغرفة وبعد برهة من الزمان، سمع صوت همس للزوجين ثم توجَّها نحو الغرفة التي كانت معدة للضيف وقد دخلها ذاك الخيال، وما هي إلاّ لحظات، وخرجا مسرعين ليحضرا مصباحًا لهما ويكرّا راجعين للغرفة، وإذا بهما يسحبان جثة ثم يدفناها في سرداب منزلهما.

وما إنّ حلّ الصباح، وتنفس الضوء، تنفّس معه التاجر، وفرَّ متجهًا لخارج البلدة لكنَّه غيّر وجهته إلى نقطة شــرطة البلدة وقصَّ عليهم قصّته، فما كان منهم إلاّ أن بعثوا معه مجموعة من رجال الشرطة ليتفحّصوا الأمر، فجاءوا وحقّقوا معهم وحفروا وإذا بهم ينظرون إلى جثة القتيل والذي لم يكن سوى ابنهما، حيث استيقظ في عتمة الليل ودخل لتلك الغرفة بخطأ منه ثم غلب عليه النوم، وكان في حينها أبواه يمكران ويعدّان العدة لاغتيال الضـيف والغدر به، فدخلا فوجدا الشخص نائمًا فظنّاه ضيفهما فانهــالا عليه بالطعن ليردوه قتيلاً، ثم تبيّن لهم بعد أن أشـعلوا النور إنّه ابنهما فسـحباه للســرداب ليدفناه ويخفيا معه فعلتهما الشنيعة. فما أشنع ما تجرُّه الخيانة من جرائم تقود صاحبها إلى جهنم.

الخلاصة

يمكن أن نستخلص من موضوع الخيانة ومن هاتين الحادثتين كثيرًا من المواعظ منها:

١. الخيانة ليست من صفات أهل الدين والإيمان
٢. الخيانة تُعدُّ نتيجة لابتعاد الإنسان عن الدين ونسيان ربه.
٣. الخيانة ترجع على صاحبها بالخسران
٤. الخيانة تؤدي إلى الندم سواء في الدنيا أو في الآخرة
٥. الخيانة تسقط الإنسان من عين الله
٦. الخيانة تسقط ثقة الناس بالشخص الخائن.
٧. الخيانة تؤدي إلى عدم احترام الناس للخائن فيصبح منبوذًا
٨. الخيانة تؤدي إلى أفظع الجرائم

أسئلة الدرس

س١ : اذكر دليلين أحدهما من القرآن الكريم، الآخر من السنة الشريفة يدلّان على قبح الخيانة.

الآية: ....

....

لحديث: ....

....

س٢ : ليس للخيانة موضوع واحد، فمواضيعها متعددة، اذكر بعض من المجالات أو المواضيع التي يمكن أن يكون للخيانة نصيب فيها.

....

....

....

س٣ : أعد ترتيب الحديث:

يكون	للخونة	خيانة	بالمرء	أميناً	كفى	أن

عن الإمام الجواد عليه السلام إنه قال:

....

س٤ : ما هي أبرز علامات الخائن، استدل على هذه العلامات بحديث شريف عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

....

....

....

....

....

....

....

١١

الدرس الحادي عشر

الغضب

الدرس الحادي عشر

الغضب

الإنسان مزيج بين العقل والشهوة:

قوى النفس تتألف من عناصر تتفاعل فيما بينها لتعطيَ سلوكًا خارجيًا، فالإنسان مزيج بين العقل والشهوة، فإن غلب عليه العقل كان حكيمًا، وإن غلبت عليه الشهوة كان غرائزيًّا، ويكون الجسد للشهوة كالفرس توجّهه الغريزة إلى عالم المجهول.

المثيرات النفسيّة والعقليّة للغضب:

ومن بين هذه القوى المكوّنة للنفس الإنسانية القوة الغضبيّة، وهي التي تبعث على إثارة قوى الإنسان وتوجِّه سلوكه بحسب قوة انطلاقها، وبحسب المقيِّدات لها، بمعنى أن الغضب كحالة قد تكون قويّة عند الإنسان فيتصف بأنّه غضوب وقد تكون بأقلّ من تلك الدرجة،

كما قد يكون غضب الإنسان سببه دينيّ وغيرة، قد يكون دنيويّ .. وذلك بحسب المثيرات النفسيّة والعقليّة.

والغضب إن كان تحت سيطرة الغريزة فإنّه حالة نفسانيّة باعثة على الهيجان للنفس بحيث يحصل عندها الثوران الذي يُعبَّر عنه بالسلوك القوليّ أو الفعليّ أو الاثنين معًا، وكأنَّ الغضبَ بهذا الوصف شعلةٌ من نار اقتُبِسَت من نارِ جهنَّم والعياذُ باللّه.

كيف يكون الغضب كأنّه شعلة من نار:

لأنّ الغضب هو مفتاح كلِّ الشرور والآثام، ففي هذه اللحظات ـ التي يحصل فيها الثوران ـ يُغَيَّب العقل وتقود الغريزةُ غيرُ الواعية سلوكَ الإنسان، والغريزة بهذا الحال تصبح جاهزة للانقياد لأوامر الشيطان الذي قال للإنسان اكفر، فاستجاب له الغضوب، فأعمى قلبه وأصمَّ أذنه عن كلِّ ذِكرٍ وموعظة وابتعد عن سياسة العقل والدين.

ضرورة تذكّر غضبَ اللّه حين الغضب:

فعلى الإنسان حين يطرأ عليه أمرٌ يستثير غضبَه أن يتذكّر اللّه، ويتذكّر غضبه؛ ليكون في مأمن من الانقياد لثورة الغضب التي ينفذ منها إبليس إلى نفسه فيوجِّهها للمعاصي والمهالك، وقد حثّت

الشـريعةُ الإنسانَ إلى أن يعيش في دائرة التقوى ويجعل قائَده عقلَه ويبتعد عن أسر الغريزة ولا يجعل غضبه هو القائد له.

الآيات القرآنيّة في الغضب:

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[١٥٦]

الروايات في الغضب:

وعن الإمام الصّادق عليه السلام: (من كفَّ غضبَه ستر اللهُ عورتَه).[١٥٧]

وعنه عليه السلام: (من لم يملك غضبَه لم يملك عقلَه).[١٥٨]

وعنه عليه السلام: (أنَّ الله سبحانه وتعالى شأنه ناجى عبدَه موسى عليه السلام: يا موسى أمسِك غضبَك عمّن ملَّكْتك عليه أكف عنكَ غضبي).[١٥٩]

الروايات المحذّرة للغضب:

ولهذا جاء في الأحاديث والروايات الشريفة التحذير منه.

وقد جاء عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (الغضبُ يفسِدُ الإيمانَ كما يُفسِدُ الخلُّ العسل).[١٦٠]

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (إيّاك والغضب فأوّلُه جُنونٌ وآخرُهُ ندم).[١٦١]

وعنه عليه السلام: (واحذر الغضبَ فإنَّه جُندٌ عظيمٌ من جنود إبليس).[١٦٢]

وعنه عليه السلام: (الحدّةُ ضربٌ من الجنون لأنّ صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونُه مُستحكم.[(١٦٣)])

---

(١٥٦) آل عمران: ١٣٤.

(١٥٧)نفس المصدر.

(١٥٨)نفس المصدر.

(١٥٩) الأخلاق، السيد عبدالله شبر، ص ١٧٣.

(١٦٠)جامع السعادات، ج١، ص٢٨٨.

(١٦١)البرنامج التعليمي، ص١٤٤.

(١٦٢)أخلاق أهل البيت، ص٣٢.

(١٦٣)أخلاق أهل البيت، ص٣٢.

لماذا الغضبُ مفتاحُ كلِّ شر؟

وعن الإمام الصــادق عليه السلام: (الغضــبُ مفتاحُ كُلِ شــر). [١٦٤] لأنه تنجم عنه آثار خطيرة وعظيمة تبعد الإنسان عن تقواه وتخرجه من إيمانه، وتجعله أسير شهواته وغرائزه، فهو حين استحكام غضبه مطية من مطايا إبليس لعنه الله، فالغضب في حقيقته نافذة من نوافذ إبليس على هذا العالم.

وقد جاء في الرواية عن الإمام الصــادق عليه السلام قوله: (ســمعت أبي عليه السلام يقول: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل بدويٌّ فقال، إنّي أســكنُ البادية، فعلّمني جوامعَ الكلام. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: آمرُكَ أن لا تغضب، فأعاد الأعرابي عليه المســألة ثلاث مرات حتى رجع إلى نفســه، فقال: لا أسأل عن شيءٍ بعد هذا، ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بالخير. [١٦٥]

وجــاء عن الإمام الباقر عليه السلام: (إنَّ الرجل ليغضــب فما يرضــى أبدًا حتى يدخــلَ النار، فأيّما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنّه سيذهب عنهُ رجز الشيطان، وأيّما رجل غضبَ على ذي رحم فليدنُ منه فليمسه، فإنَّ الرحم إذا مُسّت سكَنَت). [١٦٦]

بواعث الغضب:

الغضب كحالة نفسانيّة لا تحدث من تلقاء نفسِها، إنَّما توجد لها بواعث ومهيّجات تدفع بقوى النفس إلى الهيجان وتثورها، ومن هذه البواعث:

١. **<u>بواعث صحيّة</u>**، وذلك عندما يكون الإنســان واقعًا تحت تأثير الأمراض وخصوصًا المزمنة منها، فإنَّ سلوكه يكون دائم التوتر وقابليته للهيجان كبيرة.

٢. **<u>بواعــث نفسيّــة</u>** ناتجة عــن الإجهاد أو المغالاة في الأنانيّة أو الشــعور بالنقص والمهانة أو الشــعور بالاستنقاص.

٣. **<u>بواعــث أخلاقيّــة</u>** كأن يكون الإنســان اعتاد على الشراســة نتيجــة لتأثير عوامل أســريّة أو بيئيّة محيطة بحيث تترسّخ عنده هذه الحالة، أو قد تكون من منشأ العجل والزهو.

---

(١٦٤) نفس المصدر.

(١٦٥) الأخلاق، السيد عبدالله شبر، ص ١٧٣.

(١٦٦) نفس المصدر.

أضرار الغضب:

عندما تستحوذ الحالة الغضبية على سلوك الإنسان فإنّها تسلبه عقله، لأنّها وبحسب تعبير الروايات الشريفة ضرب من الجنون، ولأن المجنون لا يعي ما يفعل ولا ما يقول فستكون تصرفاته غير موزونة وبالتالي تكون جالبة للشر والأذى على نفسه وعلى الآخرين.

فمن أضراره على نفس الغضوب:

١. أنّه يعيش الهمَّ والغمَّ والإثارة العصبية ممّا ينتج منه أمراض عضويّة كثيرة بالإضافة إلى الأمراض النفسيّة.
٢. أنه يعيش في المعصية لأنَّ استسلامه لحالته الغضبية يدفعه إلى إلحاق الأذى بالنَّاس نفسيًّا أو جسديًّا أو الاثنين معًا.

ومن أضراره على الآخرين:

١. إحداث الآلام النفسيّة نتيجة لجرح مشاعرهم وعواطفهم بالألفاظ القبيحة.
٢. إحداث الآلام الجسديّة نتيجة الاعتداء عليهم.
٣. شيوع حالة الفرقة والتباغض والأحقاد التي تفكِّك وحدة المجتمع.

س: ما الفرق بين العنف والغضب؟

ج: يمكن تحديد الفارق بينهما من جهة أنَّ العنف هو: وسيلة توصيل الأذى المنبعث من القوة الغضبية.

توضيح الفرق:

الغضب هو: حالة هيجان نفسي تحدث بسبب توفر أسبابها المهيجة للنفس والتي تبدو النفس عندها قد تلبّست بلباس الجنون، فكيف يعبِّر عن هذا الجنون إذن؟. إنّ الوسيلة الوحيدة للتعبير عن حالة الغضب والجنون هذه هي اللجوء إلى العنف القولي أو الفعلي، فبالقول يوجِّه الألفاظ القاسية والعنيفة والغليظة والتي لا تحتمل عادة، وبالفعل يعتدي على الآخر ضربًا أو قتلاً...

هل كُلُّ الغضب مذموم؟

ليس كُلُّ الغضب مذموم بالطبع، حيث هناك بعض الموارد التي لا بدّ وأن يغضب فيها الإنسان منها:

الدفاع عن الدين،

الدفاع عن الحقوق،

الدفاع عن الكرامة.

ولكن ينبغي أن لا يخرج الغضب صاحبه من دائرة التقوى، فالمذموم من الغضب هو ما زاد عن الحد الذي يدافع فيه الإنسان عن مبدئه أو كرامته. وقد ورد القول: من استغضب ولم يغضب فهو حمار.(١٦٧)

علاج الغضب:

يعتمد العلاج على تشخيص السبب في الحالة الغضبية وذلك بتحديد بواعثه، فمن شخّص الأسباب وضع الحلول.

أقسام العلاج للغضب: والعلاج ينقسم إلى:

١. **علاج ظاهرة:** حيث ينصبُّ على إبقاء حالة الهدوء في نفس الإنسان

٢. **وعلاج سبب:** ينصبُّ على استئصال السبب المؤدي إلى إثارة القوة الغضبية مع تسليح النفس وتسويرها بالقيم الروحية والدعاء كمدرسة تربوية عظيمة.

روايات علاجيّة تشير إلى كظم الغيظ:

وقد ورد الحثُّ على ذلك، حيث جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: (إن لم تكن حليمًا فتحلَّم، فإنَّه قلَّ من تشبّه بقوم إلاّ أوشك أن يكون منهم).(١٦٨)

وعن الإمام الباقر عليه السلام: (من كظم غيظًا وهو يقدر على إمضائه حشا اللهُ قلبَه أمنًا وإيمانًا يوم القيامة).(١٦٩)

(١٦٧) أخلاق أهل البيت ص٣٣.

(١٦٨) نفس المصدر.

(١٦٩) الأخلاق، ص١٧٥.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (ما من عبدٍ كظم غيظًا إلاّ زاده الله تعالى عِزًّا في الدنيا وعِزًّا في الآخرة).[170]

للمتأملين

يُحكى أنّ شخصًا كان سيِّء الخلق وله أربع زوجات، رجع يومًا إلى دراه، وإذا بنسائه الأربع يتنازعن فيما بينهنّ، فقال لهن إلى متى هذا التنازع بينكن؟ ثم توجَّه إلى واحدة منهنّ وخاطبها: ما أخال هذا الأمر إلاَّ من قِبَلِكِ، اذهبي فأنت طالق!!؟

فتحرَّكت حميّة إحدى زوجاته فقالت له: عجّلت عليها بالطلاق، لو أدّبتها بغير ذلك لكان أفضل. فقال لها: وأنت أيضًا طالق!!؟

فقالت له الثالثة: قبّحك الله، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين، ولك مفضلتين. فقال لها: وأنت أيضًا طالق!!؟

فما كان مِن الرابعة إلاَّ أن بادرته بالتوبيخ: ضاق صدرك عن أن تؤدِّب نساءك إلاَّ بالطلاق؟ فقال لها: وأنت أيضًا طالق!!؟

وهكذا طلّق نساءه الأربع في سورة غضب وحماقة، وكان في أثناء ذلك زوجة جاره تشرف من بيتها على الحادثة وسمعته وهو يطلق زوجاته الأربع، فأنّبته على فعله هذا وقالت له: والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف إلاّ لما بلوه منكم ووجدوه فيكم، أبيت إلاّ طلاق نسائك الأربع في ساعة واحدة!!؟

فقال لها: وأنت أيتها المؤنبة أيضًا طالق إن أجاز زوجك!؟

وإذا بالصوت يعلو ويخترق الآذان – صوت زوجها – لقد أجزت ذلك لقد أجزت ذلك.

وسلام الله على أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول: الغضب يردي صاحبه ويبدي معايبه.

(١٧٠) نفس المصدر.

أسئلة الدرس

س١ : كيف يمثل الغضب مفتاحاً لكل الشرور والآثام؟

....

....

....

....

....

....

س٢ : أكمل الحديث الشريف:

- عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: الغضب يفسد ....

....

س٣: ما الذي يبعث النفس على الغضب والهيجان؟

....

....

....

....

....

....

س٤ : أعد ترتيب الحديث الشريف:

جند	فإنه	من	إبليس	الغضب	عظيم	جنود	واحذر

عن الإمام علي عليه السلام أنه قــال..

....

س٥: لقد امتدح الله تعالى شأنه من يملك نفسه عند الغضب، اذكر الآية القرآنية التي تدل على ذلك؟

....

....

....

....

....

س٦: ما هي الأضرار النفسية التي تعود على الإنسان الغضوب، وعلى الآخرين؟

....

....

....

....

....

....

....

....



١٢

الدرس الثاني عشر

الحلم

الدرس الثاني عشر

الحلم

تعريف الحلم:

وهو ضبط النفس عند طروء حالة الهيجان عليها ومن غير ذلٍّ في النفس، بمعنى أنّه حالة التمكن من السيطرة على النفس ونزع الرغبة في مواجهة الاستفزاز المقابل فيترفَّع عن النزول في هاوية الغضب، وهو دلالة على اكتمال العقل وبسط الإرادة والقدرة على قيادة النفس وتوجيهها نحو كمالها، لهذا قيل الحلم سيّد الأخلاق.

آيات وروايات تمدح الحلم ومنزلته:

جاء عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم).[١٧١]

وعن الإمام الرضا عليه السلام: (لا يكون الرجل عابدًا حتى يكون حليمًا).[١٧٢]

وعن المولى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام باتر، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك).[١٧٣]

وكفى بالحلم منزلة وفضلاً وشرفًا أنّه من صفات الأنبياء عليهم السّلام وقد امتدح الباري جلَّ وعلا شأنه نبيَّه إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[١٧٤]

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ الله يُحِبُّ الحييَّ الحليمَ العفيفَ المتعفف).[١٧٥]

وقفة: كيف يمكن اختبار حِلم الحليم؟

عن الإمام الرضا (عليه السلام): من صبر على ما ورد عليه فهو الحليم... وقال لقمان: ثلاثة لا يُعرفون إلاّ

---

(١٧١) البرنامج التعليمي ص ١٤٦.

(١٧٢) نفس المصدر.

(١٧٣) ميزان الحكمة، ج٢، ص٥١٢.

(١٧٤) هود: ٧٥.

(١٧٥) أصول الكافي، ج٢، ص١١٢.

في ثلاثة مواضــع: لا يُعرف الحليمُ إلاّ عند الغضــب، ولا يُعرف الشجاعُ إلاّ في الحرب ولا تعرف أخاك إلاّ عند حاجتك إليه"[١٧٦].

يقول أحد الشعراء في ذلك الأمر:

من يدَّعي الحِلمَ أغضِبْه لتعرفَه لا يُعرفُ الحلمُ إلاّ ساعةَ الغضبِ

س: ما هي الأسباب التي تدعو الإنسان لأن يكون حليمًا؟

ج: يمكن إيراد بعض من هذه الأسباب والدواعي فيما يلي:

١. احترام النفس ورعاية العزة والكرامة.
٢. التماس العذر لأهل الجهل.
٣. القدرة على الرد والتمكن منه وهو ما يسمى عفو المقتدر.
٤. إغاظة المســيء وإغضــابه؛ ليحــترق بغيظه، وقد ورد عن الإمام أمــير المؤمنين عليه السلام قوله: (من غاظَكَ بقبحِ السفه عليك فغظه بحسنِ الحلمِ عنه).
٥. صيانة النفس عن الوقوع في المعاصي.

حقيقة الحلم:

الحلم باعتباره خلقًا كريمًا يتمثل في ضبط النفس وكظم الغيظ كما قال مولانا الإمام الحسن بن علي عليه السلام حيث أجاب عند سؤاله ما الحلم؟ فقال عليه السلام: (كظمُ الغيظِ وملكُ النفس).[١٧٧]

فالحلم في حقيقته هو تعبير عن حركة تكاملية في النفس يتحد فيها باطن الإنســان مع ظاهره، حيث يملك نفسه عن الانســياق وراء الاستفزازات الانفعالية والغرائزيّة وكلّ المهيجات الشيطانيّة، ويكظم غيظه بحيث لا تبدو عليه علامات الإثارة والغضب على الوجه أو على جوارحه الأخرى، وهذه الجوارح الظاهريّة لا تبدو عليها الآثار إلاّ إذا كانت منبعثة من داخل النفس، فلهذا كان الحلمُ تعبيرًا صــادقًا عن حالة التكامل.

---

(١٧٦) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ - الصفحة ٤٢٦.

(١٧٧) البرنامج التعليمي، ص١٤٧.

ما هي فوائد الحلم؟

يكفـي الحلم فائدةً وشـرفًا وفضـلًا أنَّه تخلُّـق بأخلاق الأنبيـاء والأولياء عليهم السّـلام وهو يعطي الإنسان رفعة وزينة،

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: (جمال الرجل حلمه)،

وقال عليه السلام: (الحلم نورٌ جوهره العقل).

وقال عليه السلام: (الحلم نظام أمر المؤمن)،

وقال عليه السلام: الحلم خليل المؤمن ووزيره – وقيل نصيره.(١٧٨)

وعنه عليه السلام: (تعلّموا الحِلم فإنَّ الحِلمَ خليلُ المؤمن ووزيره).(١٧٩)

وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (أحلمُ الناس من فرَّ من جُهّال الناس).(١٨٠)

س: ما هي نتائج الحلم؟

ج: الحلم باعتباره سـيد الأخلاق وباعتباره من أوجه التكامل النفسـيِّ والسمو الروحيِّ فهو يعني فيما يعنيه أنَّ من يتصف به ويكون خُلُقُه الحلم فإنَّه قد حقّق جانبًا من الارتفاع بقوى النفس،

ويتجسّدُ هذا الارتفاع والسمو في:

١. السيادة: يقول المولى أمير المؤمنين عليه السلام: (من حلمَ ساد).(١٨١)

٢. الراحـة النفسـيّة والهـدوء والوقار والسـكينة: يقول المـولى أمير المؤمنين عليه السلام: (السـلم ثمرة الحلم).(١٨٢))

٣. النصر والغلبة، يقول الإمام الصادق عليه السلام: (يظفر من يحلم).(١٨٣)

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (بالحلم عن السفيه يكثُرُ الأنصارُ عليه).(١٨٤)

(١٧٨) خمسون درسًا في الأخلاق، الشيخ عباس القمي، ص٢١ –٢٢.

(١٧٩) البرنامج التعليمي، ص١٤٨.

(١٨٠) البرنامج التعليمي، ص١٤٨.

(١٨١) نفس المصدر.

(١٨٢) نفس المصدر.

(١٨٣) نفس المصدر.

(١٨٤) نفس المصدر.

٤. إطفاء نار الغضب: يقول المولى أمير المؤمنين عليه السلام: (الحلمُ يطفئ نارَ الغضب، والحدةُ تؤجِّج إحراقه).[١٨٥]

٥. كثرة الأعوان: يقول المولى أمير المؤمنين عليه السلام: (إنَّ أولَ عوض الحليم من خصلته أنَّ الناس أعوانه على الجاهل).[١٨٦]

٦. يقرِّبُ من الدرجات الرفيعة ويؤمن من غضب الجبار: يقول المولى أمير المؤمنين عليه السلام: (الحُلمُ عند شدة الغضبِ يؤمِنُ غضبَ الجبار).[١٨٧]

وجاء عن رسولنا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (فأمّا الحلم منه ركوب الجميل، وصحبة الأبرار، ورفع الضعة، ورفع الخساسة، وتشهي الخير، ويقرب صاحبه من معالي الدرجات والعفو، والمهل والمعروف والصمت، فهذا ما يتشعّبُ للعاقل بحِلمِه).[١٨٨]

للمتأملين

(١) يروى أنَّ شخصًا يدعى (عصام بن المصطلق) قال: دخلتُ المدينة، فرأيتُ الحسين بن علي عليه السلام فأعجبني سمته ورواؤه، وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه عليه السلام من البغض، فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟ فقال: نعم. قلت: فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إليّ نظرة عاطف رؤوف ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ❖ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ❖ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ❖ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ**﴾[١٨٩]

قلت: فتوسَّم مني الندم على ما فرط مني، فقال عليه السلام: ﴿**قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[١٩٠]

---

(١٨٥)نفس المصدر.

(١٨٦)نفس المصدر.

(١٨٧)نفس المصدر.

(١٨٨)نفس المصدر.

(١٨٩) الأعراف: ١٩٩-٢٠٢.

(١٩٠) يوسف: ٩٢.

ثم سألني: أمن أهل الشام أنت؟

قلت: نعم، فقال عليه السلام: شنشنة أعرفها من أخزم، حيّانا الله وإيّاك، انبسط إلينا في حوائجك، وما يعرض لك تجدني عند أفضل ظنِّك إن شاء الله تعالى.

قلت: فضاقت عليّ الأرض بما رحبت، ووددتُ لو ساخت بي، ثم سللت منه لواذًا وما على الأرض أحبّ إليّ منه ومن أبيه.

وجاء أنّ رجلاً سبَّ الإمام السجاد عليه السلام، فأغضى الإمام عليه السلام عنه حتى يشعره بأنَّه لم يسمع، فسبَّه ثانية، والإمام ما يزال ساكتًا، مغضيًا عنه، ثم سبَّه مرة ثالثة والإمام ساكت، فلم يتحمَّل الرجل سكوت الإمام، فقال للإمام: إيّاك أعني، فأجابه الإمام: وعنك أغضي.

أسئلة الدرس

س١ :اذكر ثلاثًا من فوائد الحلم:

١-

٢-

٣-

س٢ : اذكر أهم النتائج التي يحصل عليها الإنسان الحليم ودلّل على ذلك بأحاديث.

	النتيجة	الدليل
أ		
ب		
ج		
د		
هـ		

س٣: ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله: إنَّ الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم، وضح ذلك من خلال بيان ما تدل عليه صفة الحلم.

....

....

....

....

....

....

....

....

س٤: لماذا يكون الإنسان حليماً؟

....

....

....

....

....

....

س٥: ما هي حقيقة الحلم؟

....

....

....

....

....

....

١٣

الدرس الثالث عشر

الصداقة

الدرس الثالث عشر

الصداقة

الإنسان اجتماعيٌّ بالطبع:

الإنســان كائنٌ اجتماعيٌّ ومدنيٌّ بطبعه، لا يتمكّن من العيش بمفرده، بل لا بُدَّ له من محيط اجتماعيٍّ يتحرك في دائرته، ينفعل ويتفاعل معه، فتنشأ عن هذه التفاعلات علاقات وروابط اجتماعيّة.

ولا يمكن للإنســان أن يعتزل ويســتغني عن المحيط الاجتماعيّ؛ لأنَّ في ذلك غربة ووحشــة باعثة على الإحســاس بالضـعف والخذلان أمام ملمّات الأزمان، بل إنَّ في هذا الاستغناء عقوبة للنفس الإنسانيّة تتمثل في سـلب مدنيّتها الطبعية، ولصـعوبة هذا العقاب فقد عاقب به الجليل جلَّ وعلا سـامريَّ بني إسـرائيل بعدما أضـلَّ القومَ بعجله، فقال تعالى معاقبًا له: **﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً﴾**[(١٩١)]

لأن الفـرد في حالتـه الطبيعية لا بدّ له أن يتحرك ويتفاعل اجتماعيًا، وسـلب هذه الناحية منه يجعله كائنًا وحشـيًا غريبًا، أمّا إن كان منحرفًا عن الطبع البشـريِّ فإنَّ نزع وسلب هذه المدنية منه لا يترك لديـه مجـالاً يمارس انحرافه فيه، فهو إنَّما يمارس انحرافه بوجود الحاضـن الاجتماعيِّ، فإذا عُزِل عن حاضنه ظلَّ وحيدًا معزولاً.

طبيعة الإنسان تدعوه إلى اتخاذ الصديق:

والإنســان بنزعته وطبيعته المدنيَّة يتحرك ويسـعى لأن يتخذ من الناس من يألفه وينفتح عليه خليلاً ورفيقًا وصديقًا بحيث يكون له مرآة ويكون توأمًا روحيًّا يأنسه ويمارس مدنيَّته معه.

الآيات والروايات تشير إلى أهميّة الأصدقاء:

وقد حثت الروايات الواردة عن أهل بيت العصـمة صـلوات الله وسـلامه عليهم على ضـرورة اتخاذ الإخوان والأصدقاء.

---

(١٩١) طه:٩٧.

إخوان الصدق عدّة عند الرخاء:

وقد جاء عن المولى أمير المؤمنين عليه السلام: (عليك بإخوانِ الصدقِ فأكثر من اكتسابهم، فإنَّهم عدَّةٌ عند الرخاء وجُنَّةٌ عند البلاء).[192]

منزلة الصديق يوم القيامة:

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام: (لقد عظمت منزلة الصديق حتى أنَّ أهل النار يستغيثون به ويدعونه قبل القريب الحميم).[193] قال الله تعالى مخبرًا عن أهل النار ﴿**فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ❖ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾[194]

ما هي الصداقة؟

فهي علاقة ورابطة من المحبة والمودة بين اثنين أو أكثر يحكمها الصدق والإخلاص، باعثة على الانسجام؛ لوجود التآلف بين الأصدقاء.

وما هي ثمار الصداقة؟

الأخ الصديق من أكبر الفوائد: ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (ما استفاد امرؤٌ مسلمٌ فائدة بعد فائدة الإسلام مثل أخ يستفيده في الله).[195]

الصحبة قرابة: وعن الإمام الصادق عليه السلام: (صحبة عشرين سنة قرابة).[196]

المتواخين في الله: وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام: (إنَّ المؤمنين المتواخين في الله، ليكون أحدهما في الجنة فوق الآخر بدرجة، فيقول يا ربِّ إنَّ صاحبي قد كان يأمرُني بطاعتك ويثبِّطُني عن معصيتك ويرغِّبُني فيما عندك، فاجمع بيني وبينه في هذه الدرجة، فيجمع اللهُ بينهما).[197]

---

(١٩٢) أخلاق أهل البيت، ص٣٠٣.

(١٩٣) نفس المصدر، ص٣٠٤.

(١٩٤) الشعراء: ١٠٠-١٠١.

(١٩٥) البرنامج التعليمي ص٦١٦.

(١٩٦) نفس المصدر.

(١٩٧) نفس المصدر، ص٦١٧.

هل يوجد فرق بين الصحبة والصداقة؟

نعـم يوجد فرق كبير بين الصـحبة والصـداقة، فالصـداقة عبارة عن: علاقة ترابطية كاشـفة عن تجانس بين الأصـدقاء من ناحية نفسيّة وفكريّة، أمّا الصحبة فهي: علاقة رفقة بين اثنين أو أكثر قد تكون مسـتقرة وقد تكون عابرة ولا ترتقي بنوعيها لأن تكون تزكية للصـاحب ولا كاشـفة عن حقيقة الترابط، فالصحبة في حقيقتها مجرد اجتماع مكانيّ أو زمانيّ أو الاثنين معًا لكنّها لا تعبِّرُ عن انفتاح وتماثل وتأثير متبادل بين الأصحاب بعكس الصداقة التي هي تعبير عن الانسجام الكامل.

حدود الصداقة كما يراه الإمام الصادق عليه السلام:

وقـد جـاء عـن الإمـام الصـادق عليه السلام: (لا تكـون الصـداقة إلاّ بحدودهـا، فمـن كانـت فيه هذه الحـدود أو شـيء منهـا فانسـبه إلى الصـداقة، ومن لم يكن فيه شـيء منها فلا تنسـبه إلى شـيءٍ من الصداقة:

فأولها: أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة.

وثانيها: أن يرى زينَك زينَه وشينَك شينَه.

وثالثها: أن لا تغيِّره عليك ولاية ولا مال.

ورابعها: أن لا يمنعك شيئًا تناله مقدرته.

وخامسها: وهي تجمع هذه الخصال: أن لا يسلمك عند النكبات.)[(198)]

ما هي حقيقة الصداقة؟

مجرّد المجاملات لا تثبت الصداقة الحقيقيّة:

قد يقع الكثير من الناس في خطأ الاعتقاد أنّ كلَّ من يجاملهم ويحسن معاملتهم هو الصديق الحميم الـودود، فينفتحون عليه، وإذا حانت لحظة الامتحان انكشـف زيف الصـحبة وخـداع التودّد، فهو ما فعل ذلك وما اصـطنعه إلاَّ لحاجة مضـمرة في نفسه، فاسـتغلّ حالة البساطة والانفتاح في نفس ذاك الإنســان؛ ليصل إلى مبتغاه، وهذا يؤدي إلى حالات سـلبيّة خطيرة تولِّدُها صدمة الخيانة والانقلاب منها انعدام الثقة بين الناس وشـيوع حالة التباعد لعدم وجود الأمان. ولهذا تجد كثرة الشـكاوى من خيانة الأصدقاء وجفائهم وخذلانهم بالرغم ممّا يكنّه الشاكي من صدق وإخلاص ورغبة حقيقيّة في

(١٩٨) أصول الكافي ج٢ ص ٦٣٩.

تكوين الصداقة، وإنّ السبب في ذلك ربّما يعود إلى:

أ) الجهل بحقيقة الصداقة.

ب) الانخداع بالمجاملات وغيرها من الأمراض الاجتماعية السائدة.

الإخوان صنفان، إخوان الثقة، وإخوان المكاشرة:

وعن الإمام الباقر عليه السلام أن رجلاً سأل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الإخوان.

فقال عليه السلام: (الإخوان صنفان، إخوان الثقة، وإخوان المكاشرة).

فأما إخوان الثقة: فهم الكفُّ والجناح، والأهلُ والمال، فإذا كنت من أخيك على حدِّ الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصافِ من صافاه وعادِ من عاداه واكتم سرَّه وعيبَه، وأظهر منه الحسن، واعلم أيُّها السائل أنّهم أقلُّ من الكبريت الأحمر، -"الكبريت الأحمر قيل بأنه الذهب الأحمر وقيل الياقوت الأحمر وقيل جوهر ثمين"-

وأمّا إخوان المكاشرة ❖: فإنَّك تصيب لذَّتك منهم، فلا تقطعنَّ ذلك منهم، ولا تطلبنَّ ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان).[١٩٩]

كيف نختار الصديق؟

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: كان أميرُ المؤمنين عليه السلام إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم أن يتجنب مؤاخاة ثلاثة: الماجن الفاجر، والأحمق، والكذّاب، فأمّا الماجن الفاجر فيزيّن لك فعله ويحب أنّك مثله، لا يعينك على أمر دينك ومعادك، ومقاربته جفاء وقسوة ومدخله ومخرجه عارٌ عليك، وأمّا الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير ولا يُرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه، وربما أراد منفعتك فضرَّك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه، وأمّا الكذَّاب فإنه لا يهنئك معه عيش، ينقل حديثك وينقل إليك الحديث، كلّما أفنى أحدوثة مطرها بأخرى مثلها، حتى أنَّه يحدث بالصدق فما يصدِّق، ويفرق بين الناس بالعداوة، فينبت السخائم (الأحقاد) في الصدور، فاتقوا الله عزَّ وجلَّ وانظروا لأنفسكم.[٢٠٠]

---

(١٩٩) أخلاق أهل البيت، ص٣٠٥.

❖المكاشرة مأخوذة من المظاهرة والتعامل الظاهري.

(٢٠٠) أصول الكافي، ج٢، ص٦٣٩-٦٤٠.

ويمكن الإشارة إلى أن العوامل المساعدة في اختيار الصديق هي:

١. أن يكون لبيبًا عاقلاً، لأنَّ الصديق له تأثير في صديقه.

٢. أن يكون من أهل الصلاح والاستقامة ومن أهل الإيمان.

٣. أن يتوفَّر الانسجامُ النفسيُّ والفكري.

ما هي مقاييس المودّة والمحبّة بين الأصحاب والأصدقاء؟

سأل رجلٌ الإمامَ الصادق عليه السلام: الرجل يقول أودُّك، فكيف أعلم أنَّه يودُني؟ فقال عليه السلام: امتحن قلبك، فإن كنتَ تودُّه فإنَّه يودّك. (٢٠١)

ما هي حقوق الأصدقاء؟

جاء عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنه سأل رجلاً من خاصته اسمه عاصم: (يا عاصم: كيف أنتم في التواصل والتواسي؟) قال: على أفضل ما كان عليه أحد.
قال عليه السلام: (أيأتي أحدُكُم إلى دكان أخيه أو منزله عند الضائقة فيستخرج كيسه ويأخذ ما يحتاج إليه فلا ينكر عليه؟) قال: لا، قال عليه السلام: (فلستم على ما أحب في التواصل). (٢٠٢)

للمتأملين

نقل الواقدي أنَّه كان لي صديقان أحدهما هاشميّ، وكُنَّا كنفس واحدة، فنالتني ضائقة شديدة، وحضرني العيد، فقالت امرأتي: أمَّا نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأمَّا صبياننا هؤلاء فقد قطَّعوا قلبي رحمة لهم، لأنَّهم يرون صبيان الجيران وقد تزيَّنوا في عيدهم، وأصلحوا ثيابهم، وهم على هذا الحال من الثياب الرثَّة. فلو احتلت بشيءٍ تصرفه في كِسوتهم. فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ، فوجَّه لي كيسًا مختومًا، ذكر أنَّ فيه ألف درهم، فما استقر قراري حتى كتب إليَّ الصديق الآخر يشكو مثلما شكوت إلى صاحبي، فوجَّهتُ إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلي مستحيًا من امرأتي.
فلمّا دخلت عليها استحسنت ما كان مني، ولم تعنفني عليه.

---

(٢٠١) أخلاق أهل البيت، ص٣٠٩.

(٢٠٢) المصدر السابق ص٣١١.

فبينما أنا كذلك إذ وافى صـديقي الهاشـمي ومعه الكيس كهيئته!! فقال لي: اصدقني عمّا فعلته فيما وجَّهتُه إليك؟ فعرّفته الخبر على وجهه،

فقال: إنّك وجّهت إليّ، وما أملك على الأرض إلاَّ ما بعثت إليك، وكتبتُ إلى صـديقنا أسـأله المواساة فوجَّه إليّ بكيسي!! فتواسينا الألف أثلاثًا.

ثم نما الخبر إلى السـلطان فدعاني، فشـرحت له الخبر، فأمر لنا بسـبعة آلاف دينارٍ لكلِّ واحدٍ منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار.

أسئلة الدرس

س١ : صح أم خطأ:

١. (   ) الإنسان كائنٌ اجتماعيٌّ لكنه يمتلك القدرة الكاملة على العيش بمفرده دون أن يستوحش.

٢. (   ) كثرة الأصدقاء قد تكون عامل تعب ومشاكل للإنسان لكثرة الاختلافات بينهم.

٣. (   ) الصحبة الصادقة هي نوع من القرابة.

٤. (   ) كل إنسان يلاطفك ويصحبك ويجاملك هو لك صديق ناصح.

س٢ : عرف الصداقـة: ....

....

س٣: ما الفرق بين الصحبة والصداقة:

الصحبة	الصداقة

س٤: ما هي أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الصديق؟

أ- ....

ب- ....

ج- ....

س٥: العوامل المساعدة في اختيار الصديق هي:

أ- ....

ب- ....

ج- ....

س٦: لقد جعل الإمام الصادق عليه السلام من القلب السليم مقياساً لمعرفة الصدق والمودة في الصديق وذلك كمقياس كاشف. اذكر حديث الإمام عليه السلام الذي يبيّن فيه هذا المقياس.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لمن أراد معرفة مودة من يقول له أودك:

....

....

....

١٤

الدرس الرابع عشر

كيف أحسن الجوار؟

الدرس الرابع عشر

كيف أحسن الجوار؟

الأهداف

١. أن يتعرّف الطالب إلى مفهوم الجوار

٢. أن يستذكر مواصفات الجار الودود

٣. أن يعدّد حقوق الجار

من هو الجار؟

الجار هو كلّ شخص يسكن بجوار مكان سكننا، وهذا المعنى واضح عند أغلب النّاس، ولكن لا بدّ من بعض الإضافات حتّى يتوضّح لدينا معنى الجار في المفهوم الإسلاميّ.

أولاً: عندما تكلّم الإسلام عن الجار وحقوقه، لم يميّز بين الجار المسلم وغير المسلم، ولم يميّز بين الجار الذي هو من الأرحام وبين من هو ليس كذلك. الجار في الإسلام يشمل مطلق من يسكن إلى جوارك مهما كان لونه أو انتماؤه.

ثانياً: يشمل معنى الجار الساكن البعيد أيضاً، فليس الجار القريب هو فقط من يقع عليه هذا العنوان، ولذلك، عندما سئل الإمام الباقر عن حدّ الجوار، قال: "أربعون داراً "[٢٠٣]. وبالتالي يجب مراعاة حقوق الجيرة مع الجار البعيد كما الجار القريب.

لقد اهتمّ الإسلام كثيراً بالجار وحقوقه، حتّى أنّ النبيّ يقول: "وما زال جبرائيل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه". [٢٠٤]

وإذا دقّقنا في الأمر نفهم سبب اهتمام الإسلام بالجيران إلى هذا الحدّ. فالجار هو شخص يسكن بجوارك، وأنت على احتكاك يوميّ به. وبطبيعة الحال، الجيران يشكّلون عائلة الإنسان الأوسع دائرة من عائلته. بمعنى أنّ الإنسان يتأثّر بأوضاع جيرانه سواء كانت جيّدة أم سيّئة. وأوضاعهم تنعكس

---

(٢٠٣) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٦٦٩.

(٢٠٤) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٨٦

عليه بنسبة ما شاء أم أبى. فقرب السكن له أحكامه الّتي لا يمكن الفرار منها. ولذلك نجد أنّ الجار السيّء على سبيل المثال، يصل أذاه إلى جيرانه حتّى لو حاولوا تجنّب الاحتكاك به، وكلّ ذلك راجع للمجاورة في مكان السّكن. من هنا، اهتمّ الإسلام بهذا البعد الاجتماعيّ أشدّ الاهتمام، لأنّ الجيرة تؤثّر على استقرار الإنسان وعلى مجمل حياته.

مواصفات الجار الودود

كلٌّ منّا يتمنّى أن يكون جاره شخصاً خلوقاً وودوداً وذا صفات حسنة، ولكن على كلّ منّا أن يبدأ بنفسه، فكما أتمنّى هذه الصّفات في جاري، عليّ أن أسعى لغرس هذه الصّفات في نفسي أوّلاً.

قال الإمام الكاظم: "ليس حسن الجوار كفّ الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى".[٢٠٥]

والحدّ الأدنى من الصّفات الحسنة أن أكون إنساناً حسن العشرة، ولا أسبّب الأذيّة لأحد من الجيران. وأكرم الصّفات الحسنة الصّبر على أذيّة الجيران. وما بين الصّفتين الأولى والثانية صفات كثيرة على كلّ منّا أن يتحلّى بها، من قبيل:

- التحلّي بروح المساعدة للجيران إذا احتاجوا لذلك.
- التحلّي بالكرم المادّيّ والأخلاقيّ معهم، وغير ذلك.

استنتاج

- الجار هو الشخص الذي يسكن بجوار مكان سكننا سواء كان مسلماً أو غير مسلم.
- الجيرة في الإسلام تشمل الجار القريب والجار البعيد وحدُّ البعيد أربعون داراً.

ما هي حقوق الجار؟

هذه الحقوق أحصاها أهل البيت ، فعن رسول الله قال حول بعض حقوق الجار: "إن استغاثك أغثه، وإن استقرضك أقرضه، وإن افتقر عدت إليه، وإن أصابه خير هنّأته، وإن مرض عدت عليه، وإن أصابته مصيبة عزّيته، وإن مات تبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الرّيح إلّا بإذنه،

---

(٢٠٥) تحف العقول ص ٤٠٩

وإذا اشتريت فاكهة فاهدها له..."[٢٠٦].

وعن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين قال: "وأمّا حقّ الجار: فحفظه غائباً، وكرامته شاهداً، ونصرته ومعونته في الحالين جميعاً. لا تتبع له عورة، ولا تبحث له عن سوأة لتعرفها، فإنْ عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلّف، كنت لما علمت حصناً حصيناً وستراً ستيراً... لا تستمع عليه من حيث لا يعلم، لا تسلمه عند شديدة، ولا تحسده عند نعمة. تقيل عثرته وتغفر زلّته"[٢٠٧].

ومن ضمن آداب التّعامل مع الجيران الدعاء لهم كما كانت تفعل السيّدة الزّهراء ، فعن الإمام الحسن قال: "رأيت أمّي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصّبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسمّيهم وتكثر الدّعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: أمّاه لمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ، الجار ثمّ الدار"[٢٠٨].

استنتاج

من الأمور التي دعا الإسلام إلى تأديتها فيما يتعلق بحقوق الجار: إغاثته، وإقراضه، وإهداؤه، والدعاء له، وتعزيته في المصيبة، وعيادته عند المرض، وحفظه في غيبته،... إلخ

ثمار حُسن الجوار

١. **الثّمار الدنيويّة:** قال رسول الله: "حسن الجوار يعمّر الديار وينسئ في الأعمار"[٢٠٩]. وقال الإمام الصّادق: "حسن الجوار يزيد في الرّزق"[٢١٠].
٢. **الثمار الأخرويّة:** الثّواب الجزيل والخلاص من العذاب، خاصّة وأنّ أذيّة الجار قد ورد فيها الوعيد بالعقاب الشّديد، فعن النبيّ: "من آذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنّة، ومأواه جهنّم

(٢٠٦) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧٩، ص ٩٤.

(٢٠٧) تحف العقول، الحراني، ص ٢٦٦.

(٢٠٨) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٧ ـ ١١٣.

(٢٠٩) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٦٦٨.

(٢١٠) م. ن، ص ٦٦٧.

وبئس المصير، ومن ضيّع حقّ جاره فليس منّا..."[211].

استنتاج

– من ثمرات حسن التعامل مع الجيران: زيادة الأعمار، وزيادة الأرزاق، وإعمار الديار في الدنيا، والثواب الجزيل والخلاص من العذاب في الآخرة.

للمطالعة

أدبُ الجوار

١. قال رسول الله: "أعوذ بالله من جار السّوء في دار إقامة، تراك عيناه ويرعاك قلبه، إن رآك بخير ساءه، وإن رآك بشرّ سرّه".

٢. قال الإمام عليّ عليه السلام: "جاء رجل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، إنّي أردت شراء دار، أين تأمرني أشتري؟ في جهينة أم في مزينة أم في ثقيف أم في قريش؟ فقال له رسول الله: الجوار ثمّ الدّار، الرّفيق ثمّ السّفر".

٣. قال الإمام الباقر عليه السلام: قال رسول الله: "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع. قال: وما من أهل قرية يبيت وفيهم جائع ينظر الله إليهم يوم القيامة".

٤. قال الإمام الكاظم عليه السلام: "ليس حسن الجوار كفّ الأذى، ولكن حسن الجوار الصّبر على الأذى".[212]

---

(٢١١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢ ـ ١٢٧.

(٢١٢) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، ج ١، ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧

١٥

الدرس الخامس عشر

هكذا يكون المؤمن

الدرس الخامس عشر

هكذا يكون المؤمن

الأهداف

١. أن يتعرّف الطالب إلى مظهر الإنسان المؤمن ومواصفاته

٢. أن يستذكر الغوايات والإغراءات المنتشرة حولنا

٣. أن يحدّد طرائق وسبل مقاومة هذه الإغراءات

صفات المؤمن

الإيمان هو توجّه القلب نحو الله عزّ وجلّ والخضوع له بعد ما عرفه العقل وصدّق به. فالتّصديق العقليّ بالله عزّ وجلّ غير كافٍ بمفرده ليكون الإنسان مؤمناً. فإذا وصل بعض النّاس إلى معرفة الله بعقولهم، ولكنّهم لم يترجموا هذه المعرفة إلى خضوع له تعالى في القلب، فإنّ معرفتهم له تعالى على هذا النّحو تبقى سطحيّة، ودون الغاية المطلوبة، بل ربّما تكون وبالاً عليهم يوم القيامة. وعليه، فالإنسان المؤمن هو الذي يتدرّج في معرفة الله عزّ وجلّ، فيعرفه بعقله، ثمّ يثبّت هذه المعرفة على لوح قلبه، لتترجم خضوعاً وطاعة تامّة لجوارحه وحواسّه في محضر ربّه الشّاهد والرّقيب على أعماله.

ومن هذا المنطلق، على كلّ واحد منّا السعي للخروج من هذه الدّنيا بإيمان ينجيه يوم القيامة من العذاب، لأنّ الإيمان الصّحيح هو الذي ينفع في تلك الدّار. لذلك يقول تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾(٢١٣). والقلب السّليم هو ذلك القلب المؤمن والخاضع للباري تعالى. ولكون الإيمان يشكّل مفصلاً أساسيّاً في حياة الإنسان جعل له الإسلام علامات، من خلالها يستطيع كلّ واحد منّا أن يستكشف وجوده في قلبه، وأن يعرف أيضاً درجته في مراتب الإيمان.

ولأنّ الإيمان على مراتب ودرجات، ينال كلّ واحد منّا حظّه في الآخرة بحسب مرتبته فيه. وأهمّ علامتين على الإيمان: ملازمة التّقوى والعمل الصّالح. فهذان الأمران لا يمكن أن ينفكّا عن الإيمان الحقيقيّ، وبالتالي من يرتكب المعاصي ويترك القيام بواجباته الدينيّة فليعلم أنّه لا إيمان له. وهذا ما أكّدته الرّوايات.

(٢١٣) الشعراء: ٨٨ - ٨٩.

فعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله: ما الإيمان؟ فجمع لي الجواب في كلمتين فقال: "الإيمان بالله أن لا تعصي الله"[٢١٤].

وعنه قال: "قال رسول الله: الإيمان قول وعمل، أخوان شريكان"[٢١٥].

وعن أمير المؤمنين، قال: قال رسول الله: "الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللّسان، وعمل بالأركان"[٢١٦].

ومن كانت هذه حاله ستظهر عليه علامات أخرى تفصيليّة تابعة للعلامتين الأساسيّتين اللّتين ذكرناهما، منها: ما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾[٢١٧].

ومنها ما في قول الإمام الصّادق: "من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن"[٢١٨].

وما في قوله أيضاً: "المؤمن من طاب مكسبه، وحسنت خليقته، وصحّت سريرته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من كلامه، وكفى النّاس شرّه، وأنصف النّاس من نفسه"[٢١٩].

الغوايات والإغراءات من حولنا

ما يؤسف له أنّ الإيمان في مجتمعاتنا صار عنواناً خاوياً من مضمونه، فنجد الكثير من النّاس يفتخرون بانتسابهم لأهل البيت ، ومع ذلك لا يتورّعون عن الكذب والغيبة والتّهاون بالواجبات واقتراف المحرّمات؛ لاعتقادهم بأنّ هذا الانتساب يمكن أن ينجيهم يوم القيامة. مع أنّ هذا الاعتقاد مخالف لكثير من النّصوص الصّريحة، الّتي تدلّ على أنّ الاعتقاد بمفرده لا يكفي، وأنّه يجب أن يقترن بالإيمان والتّقوى لينجو الإنسان من العقاب. بل إنّ بعض النّصوص يحدّد بعض الصّفات للشيعيّ الحقيقيّ، فمثلاً، قال أبو عبد الله: "إنّما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه، واشتدّ جهاده،

(٢١٤) الأمالي، الطوسي، ص ١٣٩.

(٢١٥) بحار الأنوار، المجلسي، ج٦٦، ص٦٦.

(٢١٦) نهج البلاغة، ج٤، ص٥٠.

(٢١٧) الأنفال: ٢.

(٢١٨) الخصال، الصدوق، ص٤٧.

(٢١٩) م. ن، ص٣٥٢.

وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر"[٢٢٠].

لذا يترتّب على الإنسان الّذي يريد أن يحافظ على إيمانه مسؤوليّات كبيرة، خصوصاً في ظلّ انتشار المحرّمات من حوله وسهولة الوصول إليها، عبر التلفاز والانترنت وغيرهما من وسائل الاتّصال. وعليه أن يتّخذ الإجراءات المناسبة حتّى لا ينجرّ إلى الحرام. وفي حال زلّت قدمه عليه أن يتراجع ويتوب فوراً ويعالج الخلل الذي جعله يرتكب العمل المحرّم.

فمثلاً إذا كان العمل المحرّم الذي ارتكبه هو مشاهدة المشاهد الإباحية عبر التلفاز، فعليه التخلّص من القنوات أو الأقراص التي تحوي تلك المشاهد، ثمّ يتوب لربّه ويدعوه لأنْ يوفّقه للتحرّز عن مثل هذه المحرّمات.

استنتاج

- الإيمان هو توجه القلب نحو الله عزّ وجلّ والخضوع له.
- لا تكفي المعرفة القلبيّة ليكون الإنسان مؤمناً، فعلى القلب أن ينال حظه من التوجه نحو الله عزّ وجلّ، ليدخل الإنسان في سلك الإيمان.
- أهم علامتين على الإيمان: التقوى والعمل الصلح، ومنهما تتفرّع العلامات التفصيليّة على الإيمان.

كيف نقاوم الإغراءات؟

على الإنسان أن يستنفر كلّ طاقاته وإمكاناته؛ ليعيش حياة ملؤها الإيمان والطّاعة لله عزّ وجلّ. والوصول إلى هذه الغاية يتطلّب عدّة خطوات

الخطوة الأولى: الخروج من نوم الغفلة

بمعنى أن يتنبّه الإنسان إلى أنّه قابع في سلك الغافلين عن الله والآخرة، وأنّه يجب أن يستيقظ ويعود إلى ربّه تائباً إليه من تقصيره وغفلته. وهذا الالتفات مهمّ جدّاً، ومن دونه لا يمكن للإنسان أن يخطو خطوة واحدة نحو إصلاح نفسه وحياته.

(٢٢٠) صفات الشيعة، الشيخ الصدوق، ص ١١.

ومن الأمور التي تساعد الإنسان على الخروج من غفلته، كثرة التفكّر في حاله وفي حال الدّنيا ومآل النّاس فيها. وأنّه يجب أن يتزوّد للآخرة لأنّ الموت قد يأتي بغتة ولا يمهله. إنّ جعل التفكر مثل الورد اليوميّ علاج ناجع للغفلة عن الله عزّ وجلّ والآخرة.

أيضاً من الأمور التي تساعد على الخروج من الغفلة؛ زيارة المقابر وقراءة روايات ونصوص الموت والآخرة. فتذكّر الموت والعيش ضمن أجوائه يكبح جماح الشهوة والغريزة، ويضيء في القلب شعلة تذكّر الآخرة والسعي للتزوّد لها.

الخطوة الثّانية: مراقبة النّفس في أقوالها وأفعالها وخواطرها

فهذه النّفس أمّارة بالسّوء، وتركها من دون مراقبة ومحاسبة يجعلها بين الحين والآخر تخرج عن حدودها، وتطغى على ربّها وخالقها. نفس الإنسان كالشّجرة في البستان. فالشّجرة حتّى تثمر ولا تتعرّض للضّرر والتلف يجب على البستانيّ أن يراقبها ويرعاها ويسقيها ويحميها من الحشرات والآفات الضارّة. وهذه النّفس أيضاً تحتاج إلى أن يغذّيها الإنسان بالعبادة والطّاعة، وأن يبعد عنها آفّات المعاصي، حتّى تثمر في النهاية روحاً طاهرة وقلباً سليماً.

الخطوة الثّالثة: مصاحبة الصّالحين

فالصّحبة معدية، والإنسان يجذب أغلب صفات وطباع صاحبه، ولذلك ورد عن الرسول: "المرء على دين خليله وقرينه"؟[٢٢١].

الخطوة الرّابعة: ملء أوقات الفراغ بأعمال ونشاطات مفيدة

فوقت الفراغ خطير جدّاً، والشّيطان يتسلل من خلاله ليوجّه الإنسان نحو المعاصي والشّهوات، ولذلك، إذا استطاع الإنسان أن يرتّب حياته على قاعدة ملء أوقات الفراغ، فإنّه بذلك يسدّ على الشّيطان أهمّ المنافذ التي يتسلّل من خلالها إلى فكر وخيال الإنسان.

الخطوة الخامسة: الطّلب من الله عزّ وجلّ والتوسّل إليه، ليحفظه على خطّ الإيمان واليقظة، وأن يبعد عنه طريق المعصية والخذلان.

(٢٢١) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٣٧٥.

استنتاج

مقاومــة الإغــراءات تكون بالخروج من نــوم الغفلة ومراقبــة النفس في أقوالها وأفعالها ،ومصــاحبة الصالحين،وملأ أوقات الفراغ بالمفيد ،وطلب التوفيق من الله عزّ وجلّ للبقاء على خطّ الإيمان.

للمطالعة

صفة المؤمن

عــن أبــي عبد الله قال: "صــفة المؤمن قوّة في ديــن، وحزم في لين، وإيمان في يقــين، وحرص في فقه، ونشاط في هدى، وبرّ في استقامة، وإغماض عند شهوة، وعلم في حلم، وشكر في رفق، وسخاء في حقّ، وقصد في غنى، وتجمّل في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة في نصيحة، وورع في رغبة، وحرص في جهاد، وصــلاة في شــغل، وصبر في شدّة، وفي الهزاهز وقور، وفي المكاره صــبور، وفي الرّخاء شكور، لا يغتاب ولا يتكــبّر ولا يبغــي، وإن بُغيَ عليه صــبر، ولا يقطع الرّحم وليس بواهن ولا فظّ ولا غليظ، ولا يســبقه بصره، ولا يفضحه بطنه، ولا يغلبه فرجه، ولا يحسد الناس، ولا يفتر ولا يبذّر ولا يسرف، بل يقتصد، ينصر المظلوم، ويرحم المساكين، نفسه منه في عناء والنّاس منه في راحة، لا يرغب في عزّ الدّنيا، ولا يجزع من ألمها، للناس همّ قد أقبلوا عليه، وله همّ قد شغله، لا يُرى في حلمه نقص، ولا في رأيه وهن، ولا في دينه ضــياع، يرشد من استشاره، ويساعد من ســاعده، ويكيع[٢٢٢] من الباطل والخنى والجهل، فهذه صفة المؤمن".[٢٢٣]

(٢٢٢) كاع عنه يكيع: جبن عنه وهابه.

(٢٢٣) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٥٧١

١٦

الدرس السادس عشر

مكارم الأخلاق

الدرس السادس عشر

مكارم الأخلاق

أهداف الدرس:

١. أن يدرك الطالب ارتباط مكارم الأخلاق بسرعة السير والسلوك.

٢. أن يكتشف أهميَّة أن يكون الإنسان نافعاً للناس.

٣. أن يمتلك روحيّة خدمة الخلق.

تمهيد

إنَّ من أهمّ الطرق لتربية النفس والسير والسلوك ونيل مقام القرب، تربية الفضائل ومكارم الأخلاق في نفوسنا، وللفضائل الأخلاقيّة آثار جليلة في الدنيا والآخرة، ولذا أكَّدت عليها الآيات والروايات، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ما يوضع في ميزان امرىءٍ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق".

وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "إنَّ أحبَّكم إليّ وأقربكم منّي يوم القيامة مجلساً، أحسنُكم خُلُقاً وأشدُّكم تواضعاً".

وقد فصَّل المعصومون عليهم السلام الحديث عن حسن الخلق، فقد سُئل الصادق عليه السلام: ما هو حدّ حسن الخلق؟ قال عليه السلام: "تلين جانبك، وتطيّب كلامك، وتلقى أخاك ببِشْرٍ حَسَنٍ".

من الأخلاق الاجتماعيّة

إنَّ الأخلاق الحسنة كثيرة وعديدة، وينبغي للسالك أن يهتمّ بها كلّها، لأنَّ لكلّ منها أثره وثماره، وعدم الاهتمام بها سيؤدّي إلى الحرمان من فوائدها،

وسنبيّن بعض تلك الأمور الأخلاقيّة التي تعدّ ضروريّة في حياتنا الاجتماعيّة، لأنَّ العبادة لا تقتصر في الإسلام على الصلاة، والصيام، والحجّ، والزيارة، والذكر، والدعاء، ولا تنحصر بالمساجد والمعابد والمزارات، بل يعتبر القيام بالمسؤوليّات الاجتماعيّة والإحسان وخدمة عباد الله، إذا كان مع قصد القربة من أفضل العبادات، حيث يمكن أن يكون وسيلة لبناء وإكمال النفس والتقرّب من الله. فالسير والسلوك في الإسلام لا يستلزم الانزواء، بل يمكن أن يكون من خلال قبول المسؤوليّات الاجتماعيّة

في وسط المجتمع، والتعاون في الخير والإحسان، والسعيّ في حوائج المؤمنين، وإدخال السرّور إلى قلوبهم، والدفاع عن المحرومين والمستضعفين، والاهتمام بأمور المسلمين، وقضاء حاجاتهم، وحلّ مشاكلهم، ومساعدة عباد الله، وكلّ هذه الأمور تعتبر في الإسلام من العبادات الكبيرة، وثوابها أكبر من عشرات الحجج المقبولة المبرورة.

١. **لين الجانب:**

إنَّ هذه الصفة عظيمة، وهي تعبّر عن وصول الرحمة إلى قلب الإنسان، وهي التواضع والرفق بالناس، فهي الخاصيّة التي ميّزت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾ ، و﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ ، وقد وصف الله تعالى بها رسوله الكريم: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ .

٢. **إدخال السرّور على المؤمن:**

وهو من الأهميَّة بحيث أنَّ أهل البيت عليهم السلام قرنوا بين إدخال السرّور إلى قلب المؤمن وبين سرورهم، فعن الإمام الصادق عليه السلام: "لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنَّه أدخله عليه فقط بل والله علينا، بل والله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" .

ومن أروع ما نجده في هذا المجال، وصيّة الإمام الصادق عليه السلام للنجاشيّ حيث يقول فيها: "يا عبد الله إيّاك أن تخيف مؤمناً، فإنَّ أبي حدَّثني عن أبيه عن جدّه، من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله، يا عبد الله وحدّثني أبي عن آبائه عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: "نزل جبرئيل عليه السلام، فقال: من أدخل على أخيه المؤمن سروراً فقد أدخل على أهل بيت نبيّه عليهم السلام سروراً، ومن أدخل على أهل بيته سروراً فقد أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سروراً، ومن أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سروراً فقد سرّ الله، ومن سرَّ الله فحقيق على الله أن يدخله مدخله..." .

ولكن ينبغي الالتفات إلى أنّ إدخال السرور إلى قلب المؤمن لا بدّ أن يكون بأمور محلّلة، فلا أكذب عليه لأفرحه مثلاً.

٣. **الرفق والمداراة:**

وقد وردت الروايات في الحثّ عليها، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش" .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : "رأس العقل بعد الإيمان بالله عزّ وجلّ التحبّب إلى الناس" .

وعن الصادق عليه السلام: "جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمّد ربُّك يقرئك السلام ويقول لك: دارِ خلقي" .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "إنَّكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم، فسَعُوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء" .

وعنه عليه السلام: "دَارِ الناس تستمتع بإخائهم، والقهم بالبشر تُمِت أضغانهم" .

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: "تبسُّم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرف الأذى عنه حسنة، وما عبد الله بشيء أحبّ إلى الله من إدخال السرّور على المؤمن" .

وقال الصادق عليه السلام: "مَن سرّ مؤمناً فقد سرَّني، ومَن سرَّني فقد سرَّ رسول الله، ومَن سرَّ رسول الله فقد سرَّ الله، ومَن سرَّ الله أدخله جنّته" .

٤. **الكلام الطيِّب:**

إنَّ الكلام اللطيف مع الآخرين هو من مكارم الأخلاق، حتّى أنَّ الروايات قد فسّرت حسن الخلق به، كما مرَّ معنا في حديث الصادق عليه السلام.

٥. **الصفح عن الآخرين:**

وهو من أعظم المكارم، فقد خاطب الإمام الصادق عليه السلام أحد أصحابه بقوله: "ألا أحدّثك بمكارم الأخلاق؟: الصفح عن الناس، ومواساة الرجل أخاه في ماله، وذكر الله كثيراً" .

وحثّ الله سبحانه المؤمنين على هذه الخصلة في القرآن في عدد في الآيات، وعلى لسان المعصومين عليهم السلام وبأفعالهم فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي

بينما هو ساجدٌ وإذا بمشركي قريش يلقون على رأسه الشريف القاذورات فينهي صلاته ويرفع يده بالدعاء "اللهم اغفر لقومي".

٦. قضاء حاجة المؤمن:

قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الخلق عيال الله، فأحبّ الخلق إلى الله مَن نفـع عيال الله، وأدخل على أهل بيت سروراً" .

وعنـه عليه السلام: "لَقَضـاء حاجـة امرىء مؤمن أحـبّ إلى الله من عشـرين حجّة، كلّ حجّـة ينفق فيها صاحبها مائة ألف" .

وعنه عليه السلام: "مشي المسلم في حاجة المسلم خير من سبعين طوافاً بالبيت الحرام" .

وعنه عليه السلام: "إنَّ لله عباداً من خلقه يفزع العباد إليهم من حوائجهم، أولئك هم الآمنون يوم القيامة".

وقد وصفتها الروايات بالرحمة، وأنَّها تفرّج الهمّ يوم القيامة، وتيسّر الحوائج في الدنيا، وعن الصادق عليه السلام: "إنَّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكِّل الله عزَّ وجلَّ به ملكين، واحداً عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربَّه ويدعوان بقضاء حاجته.." .

وعنه عليه السلام: "أيُّما مؤمن قصده أخوه في حاجة، أو مستجيراً به في بعض أحواله، فلم يعنه ولم يجره، وهو يقدر على ذلك، فقد قطع ولاية الله، وأيُّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه، وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مسودّاً وجهه، مزرقّة عيناه، مغلولة يداه إلى عنقه، ويقال له: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثمَّ يؤمر به إلى النار" .

وقد وردت في هذا الخصوص مئات الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمَّة الأطهار عليهم السلام: منها ما عن الإمام الصـادق عليه السلام: "قال الله عزّ وجلّ: الخلق عيالي فأحبّهم إليّ ألطفهم بهم وأسـعاهم في حوائجهم" .

الإمام الخمينيّ (قدس سره) وخدمة الناس

يعتـبر الإمام الخمينيّ قدس سـره أنَّ خدمة الناس والسـعي في قضـاء حاجاتهـم، والعمل على رفع الحرمان عنهم، أحد أهمّ الوظائف التي ينبغي للمؤمنين أن يقوموا بها، بل إنَّه يعتبر خدمتهم خدمة للحقّ المطلق سبحانه وتعالى.

وحيث إنَّ النفس الإنسـانيّة تنزع إلى الشعور بالفضل والامتياز حينما تقوم بالإحسان وخدمة الناس، أو قد تنطلق في هذا العمل بهدف الحصول على مكاسب ذاتيَّة، كالشهرة، والسمعة، وكسب ودّ الناس،

فإنَّه قدس سره يحذّر بشدّة من هذا وذاك، ويعتبر أنَّ الناس هم الذين ينبغي أن يكونوا في موقع المنَّة، لأنَّهم وفَّروا للآخرين وسيلة للتقرُّب إلى الله ونيل رضاه سبحانه.

يقول قدس سره في رسالته لابنه:

"ما دمنا عاجزين عن شكره تعالى ونعمائه التي لا نهاية لها، فحبّذا أن لا نغفل عن خدمة عباده، فخدمتهم خدمة للحقِّ تعالى، ولو أنَّ الجميع منه.

لا تَرَ لنفسك أبداً فضلاً على خلق الله حين تخدمهم، فهم الذين يمنُّون علينا حقَّاً بفضل كونهم وسيلة إلى الله جلّ وعلا، ولا تَسْعَ لكسب الشهرة والمحبوبيَّة عن طريق الخدمة، فهذا بحدِّ ذاته حيلة من حبائل الشيطان الذي يوقعنا في شباكه.

واختر في خدمة عباد الله ما هو أكثر نفعاً لهم لا لك، ولا لأصدقائك، فهذا الاختيار علامة الصدق في الحضرة المقدَّسة لله جلَ وعلا".

ويقول قدس سره في موضع آخر: "أيُّها المستضعفون، نحن مرتهنون لإحسانكم وإذا كنّا نليق فنحن خدَّامكم".

خلاصة الدرس:

١. من أهمّ ما يساعد على نيل مقام القرب، تربية النفس على مكارم الأخلاق.
٢. لحسن الخلق ثمار كثيرة، منها أنَّها تثقل الميزان يوم القيامة.
٣. على السالك أن يهتمّ بكلّ الأمور الأخلاقيّة، وخصوصاً ما يرتبط منها بمعاملة الآخرين.
٤. ركَّزت الآيات والروايات على مفاهيم أخلاقيَّة عديدة، مثل لين الجانب، والمداراة وقضاء حاجات الناس والعفو عنهم.
٥. ركز الإمام الخمينيّ قدس سره في وصاياه على قضاء حوائج الناس، وأنّها تعتبر خدمة للحقّ سبحانه، وتكون المنّة لهم لا لنا.

للمطالعة

أخلاق الآخوند الخراساني

كان الآخوند الشيخ محمّد كاظم الخراسانيّ رحمه الله، إلى جانب نبوغه الباهر ومواهبه العظيمة، يتحلَّى بسجايا أخلاقيَّة وصفات نبيلة متميّزة، كان مخالفاً لهواه، يتجنّب الترويج لنفسه، وكان يحبّ الحقيقة ويعشقها، وكان يقول: إنَّ تديّن أبنائي إنَّما يثبت لديّ إذا قلَّدوا غيري، لأنَّهم ما داموا يقلّدونني لا يمكنني أن أميّز هل دفعهم إلى تقليدي تشخيصهم غير المتحيّز للواجب والوظيفة الدينيّة، أم أنَّ أهواءهم هي التي دفعتهم إلى ترويج أمر والدهم.

كان هناك شخص يهاجمه في المحاضرات وعلى المنابر، فاحتاج ذات مرَّة إلى مال لتردّي أحواله الاقتصاديّة، فحضر عند الآخوند مع جماعة من مقلّديه قدس سره ومعهم مبلغ كبير من الحقوق الشرعيّة، فطلبوا منه بأن يسمح لهم بإعطاء المبلغ المذكور لذلك الشخص، فالتفت إليهم وقال: "إنّي لأعجب منكم كيف أتيتم إليَّ ولديكم مثل هذا الشيخ الفاضل، ألا تعلمون أن يده بمنزلة يدي، وأنَّ ما تعطونه من سهم الإمام عليه السلام مهما كان مقداره موضع قبول من قبلي... قوموا وقدّموا له هذا المبلغ، وأنا أعطيكم إيصالاً به". ثمَّ كتب الشيخ الآخوند أعلى الله مقامه الإيصال المتعارف ووشّحه بتوقيعه وسلَّمه إليهم.

وحاول أحدُ الحضور من أصحاب الآخوند أن ينبّهه على ماهيَّة ذلك الشخص، ظنّاً منه بأنّ الآخوند لا يعرفه، فأتى باسم شخصيّة علمية كان يعارض الآخوند في بعض تفاصيل حركته السياسيّة، وسأل ذلك الرجل عن حاله، وقد كان من أتباع تلك الشخصيّة، فبادر الآخوند وقال: "لا حاجة إلى هذا السؤال فأنا التقيت بتلك الشخصيّة العلميَّة اليوم في أثناء الطريق وتعرَّفت على صحَّته، فهي ولله الحمد على ما يرام".

ثمَّ لمَّا قام الرجل المذكور مع مرافقيه ليخرج من منزل الآخوند، نهض الآخوند رحمه الله وودَّعه إلى الباب احتراماً وتأدبّاً.

وفي اليوم الآخر حضرَ الرجل المذكور إلى منزل الآخوند وقال: مولاي أنا ممَّن أعارضكم، وبقيت أهاجمكم في محاضراتي وعلى المنابر، وأنتمّ مع ذلك تحسنون إليَّ!! فقال الآخوند قدس سره: "أنا لم أجد في الكتب الفقهية أنَّ استحقاق شخص لأخذ الحقوق الشرعيّة مشروط بممالأة الآخوند الخراسانيّ ومودّته".

المصدر: قصص العلماء

١٧

الدرس السابع عشر

الدنيا

الدرس السابع عشر

الدنيا

أهداف الدرس:

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

١. يبيّن منشأ حبّ الدنيا ومخاطر تعلّق القلب بها.

٢. يذكر الفرق بين الدنيا المذمومة والدنيا الممدوحة.

٣. يشرح كيفيّة علاج آفة حبّ الدنيا.

مقدمة

إذا كان لقاء الله تعالى، والفوز بمقام الشهادة أمنية كلّ إنسان صادق يبحث عن السعادة التي لا ينغّصها ألم، والكمال الذي لا يشوبه نقص، والراحة التي لا يعتريها نصب، فإنّ بلوغ هذا الهدف السّامي شرطه الأساسيّ صدق النيّة في طلب الحقّ، وقطع كلّ العوائق التي تمنع من التوجّه والانقطاع إليه. وفي الدرسين السابقين ذكرنا مانعين من هذه الموانع هما الغفلة والعقائد الفاسدة، وفي هذا الدرس سوف نذكر المانع الثالث وهو الرضا بالحياة الدنيا.

آفة الاكتفاء بالدنيا وحبّها

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ❖ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾** .

تبيّن هذه الآية بشكل واضح، أنّ الاكتفاء والرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان إليها يمكن أن يكون سبباً لدخول النّار، لأنّ الرضا بالحياة الدنيا يكشف عن غفلة الإنسان عن الحياة الحقيقيّة في الآخرة. فالآية لم تذمّ الذين يعيشون في الدنيا، يأكلون ويشربون، ويتمتّعون، بل الذين تعلّقت قلوبهم بالدنيا واطمأنّوا بها، واختاروها بدلاً

عن الآخرة وتشبّثوا بها، فلا يرغبون في شيءٍ آخر ولا يشعرون بنقصٍ إلى جانبها. ولقد استفاضت الآيات والروايات في الحديث عن الدنيا والتحذير من مغبّة التعلّق بها، وحبّها والاكتفاء بها، لأنّه

يحرف الإنسان عن جادّة الحق وصراطه المستقيم، منها قوله تعالى: **﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾**، وقوله عزّ اسمه: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾**، وقوله: **﴿فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾**، وقوله: **﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾**.

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خبر المعراج، قال: "قال الله تبارك وتعالى: يا أحمد لو صلّى العبد صلاة أهل السماء والأرض، ويصوم صيام أهل السماء والأرض، ويطوي عن الطعام مثل الملائكة، ولبس لباس العابدين، ثمّ أرى في قلبه من حبّ الدنيا ذرّة أو سمعتها أو رئاستها أو صيتها أو زينتها، لا يجاورني في داري، ولأَنزعنَّ منْ قلبه محبتي، ولأُظلمنّ قلبه حتّى ينساني، ولا أذيقه حلاوة محبتي".

وعن الصّادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: **﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** قال: "هو القلب الذي سلِم من حبّ الدنيا".

وعن الإمام عليّ عليه السلام قال: "إن كنتم تحبّون الله فأخرجوا من قلوبكم حبّ الدنيا". وعنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: "إنّك لن تلقى الله سبحانه بعملٍ أضرٌّ عليك من حب الدنيا".

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: "في مناجاة موسى عليه السلام: يا موسى إنّ الدنيا دار عقوبة، عاقبتُ فيها آدم عند خطيئته، وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما كان فيها لي. يا موسى إنّ عبادي الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر علمهم، وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم، وما من أحد عظّمها فقرّت عيناه فيها، ولم يحقّرها أحد إلا انتفع بها".

منشأ التعلّق بالدنيا

أمّا منشأ حب الدنيا والتعلّق بها والاستغراق في ملذّاتها وشهواتها فيعود إلى أمرين أساسيّين:

<u>الأوّل:</u> هو رؤية الإنسان أنّ كماله وسعادته وراحته إنّما هي محصورة في هذه الحياة الدنيا، على حساب الحياة الآخرة، ولقاء الله تعالى والارتباط به.

<u>الثاني:</u> الجهل بحقيقة الحياة الدنيا، ودورها الحقيقيّ في حياة الإنسان.

فعندما يرى الإنسان أنّ سعادته وكماله يكمن في نعم الدنيا وملذّاتها وشهواتها، دون أن يخطر في بال هذا المسكين أنّ الدنيا فانية وزائلة في الأصل ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ وأنّها لم تدم لغيره حتى تبقى له. فكيف يجد الإنسان سعادته في أمر فان؟! وكيف يعلّق آماله على شيء زائل؟! فكلّ من يركن إلى الحياة الدنيا وينجذب إليها، ولا يتورّع عن الدخول في حرامها، ويسرف في حلالها، فلن يلبث أن يقع في المعصية التي إن أصرّ عليها أهلكته لا محالة. لذا كان بغض الدنيا من أفضل الأعمال، كما ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: "ما من عمل أَفضل عند الله بعد معرفة الله، ومعرفة رسوله، وأَهل بيته من بغض الدنيا" .

إنّ الحياة الحقيقيّة والأبديّة للإنسان والخلود متيسّر في عالم الآخرة فقط، أمّا الحياة الدنيا فمتاعها قليل، وهي فانية وزائلة ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى**﴾ ، ولكنّ هذا لا يعني أن لا قيمة لهذه الحياة الدنيا. فإذا عرف الإنسان حقيقة الحياة الدنيا ودورها، وأدرك أنها مقدّمة للحياة الحقيقيّة الخالدة في عالم الآخرة، والتفت إلى أنّ اللحظات القصيرة التي جعلها الله تعالى له في الدنيا ستكون مفتاحاً لكنوزه الأخرويّة الأبديّة، وفهم ماهيّة العلاقة بين الدنيا والآخرة، وتأثير حياته الدنيويّة على حياته الأخرويّة الخالدة، وعرف أنه لا بدّ من الزراعة هنا حتى يتمّ الحصاد هناك، فممّا قاله عيسى عليه السلام: "بحق أقول لكم إنّ الدنيا خلقت مزرعة يزرع فيها العباد الحلو والمرّ والشر" ، وأنّ أولي النعمة هناك هم الذين أنجزوا أعمالاً هنا، وسعوا وجدّوا من أجل تلك الحياة وتحصيل السعادة فيها. عندها سوف يدرك أنّ للدنيا دوراً وتأثيراً إيجابياً جدّاً في ارتقائه وتكامله، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: "إنّما الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مستقر، فخذوا من ممرّكم لمستقرّكم" . والإنسان الذي يتمتّع بهذه المعرفة، فإنّه لن يعادي الحياة الدنيا، لأنّه سيدرك هذه الحقيقة وهي أنّه كلّما استمرّ وجوده في الدنيا أكثر كان قادراً على التكامل أكثر، وإنجاز المزيد من الأعمال الصالحة وبالتالي بلوغ مقامات أخرويّة أسمى.

فالروايات والأدعية المرويّة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلاموالتي تتحدّث عن طلبهم طول العمر من الله قائمة على هذه الرؤية والاستنتاج المذكور. لقد كانوا على علم بأنّ الحياة الدنيا يمكن أن تكون وسيلة لنيل السعادة الأخرويّة.

والتعابير الواردة في الروايات نظير "الدنيا مزرعة الآخرة" تشير إلى هذه الحقيقة وهي أنّ على

الإنسان أن يعمل في الدنيا لكي ينال السعادة الدائمة في الآخرة. فهذه الحياة طريق لا بدّ أن نجتازه، ووسيلة ينبغي أن نستخدمها في مجالها وبصورة صحيحة، وأداة يجب الاستفادة منها بدقّة كي ننال سعادتنا، والحياة اللائقة بنا في العالم الخالد. وفي هذه الحالة فقط يرغب الإنسان أن تطول فترة حياته الدنيويّة كي يوفّق للمزيد من الأعمال الصالحة. أمّا تمنّي الموت من قبل أولياء الله كما قال مولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام: "والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه"، فهو من أجل لقاء محبوبهم بعد الموت حيث فصلتهم الحياة المادّية عنه، وبالموت يرتفع هذا المانع، وينالون لقاء محبوبهم. وهذا لا يتنافى مع طلبهم البقاء، والدوام في هذا العالم كما ذكرنا، فهم من جهة يطلبون بقاءهم لكي يستعدّوا بنحوٍ أفضل للّقاء، ويتمنّون الموت من جهة أخرى شوقاً للقاء محبوبهم، فالمقصود الأصلي للإنسان هو النعم الأخرويّة والكرامات الإلهية ورضا الله تعالى.

الدنيا الممدوحة والدنيا المذمومة

في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "حبّ الدنيا رأس كل خطيئة". وليس المقصود من حب الدنيا والتعلّق بها، حبّ الطبيعة من الجبال والأنهار وغيرها أو حبّ الناس، بل المراد بحبّ الدنيا تعلّق القلب بهذه الأمور بحيث تشكّل عائقاً أمام ارتقاء الإنسان، وسفره نحو الآخرة والحق. وبشكل أدقّ إنّ تعلّق القلب بملذّات الدنيا وشهواتها وأموالها وزينتها إلى الحدّ الذي يحول دون توجّه عقل الإنسان وقلبه وفكره وعمله إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى الحدّ الذي يدفعه إلى الوقوع في الحرام هو الأمر القبيح والمذموم، وهو الذي قالت عنه الروايات الشريفة إنّه رأس كل ذنب وخطيئة، ففي الحديث أنه ممّا وعظ به الله تعالى عيسى عليه السلام: "يا عيسى.. واعلم أَنّ رأس كلّ خطيئة وذنب هو حبّ الدنيا فلا تحبها، فإني لا أحبها". وذلك لأنّ الدنيا والآخرة لا يجتمعان، وحبها وحب الله في القلب لا يلتقيان، كما جاء عن مولى الموحدين عليه السلام أنه قال: "كما أَنّ الشمس والليل لا يجتمعان، كذلك حبّ اللّه وحبّ الدنيا لا يجتمعان".

وإذا أردنا أن نختصر الأمر نقول إنّ الدنيا في الحقيقة دنياءان: دنيا ممدوحة ودنيا مذمومة، كما قال إمامنا السجاد عليه السلام: "الدنيا دنياءان: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة".

فليس طلب مطلق الدنيا وطيّباتها حراماً ومذموماً ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾، وذات يوم جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: "إنّا لنطلب الدنيا، ونحبّ

أن نؤتاها، فقال: تحبُّ أن تصنع بها ماذا؟ قال: أعود بها على نفسي وعيالي، وأَصِلُ بها وأتصدّق، وأحجّ وأعتمر، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة". وورد في نهج البلاغة أنّ شخصاً ذمّ الدنيا في محضر الإمام علي عليه السلام فعارضه الإمام عليه السلام بشدّة قائلاً: "أيّها الذامّ للدنيا، المغترّ بغرورها، المخدوع بأباطيلها، أتغترّ بالدنيا ثم تذمّها؟ - إلى أن قال -: إنَّ الدنيا دار صدق لمن صدّقها ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتّعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلّى ملائكة الله ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله...".

فالحياة الدنيا بنفسها غير مذمومة، بل إنّ علاقة الإنسان بها وانخداعه واغتراره بها وغفلته عن الآخرة، وانشغاله بالدنيا إلى الحدّ الذي ينسى معه الله تعالى ولقاءه هو المذموم. فالذمّ يتوجّه أوّلاً إلى سلوك الإنسان وعلاقته بالدنيا. بمعنى آخر المذموم من حبّ الدنيا هو الدنيا التي توقع الإنسان في الحرام، وتكون سبباً للبعد عن الحق عزّ وجلّ، ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾.

كما وإنّ الإسراف في طلب حلال الدنيا دون حسيب أو رقيب، ودون الرجوع إلى الحدود والضّوابط الشرعيّة والأحكام الإلهية، بحيث يضرّ ذلك بواجباته تجاه ربه، هو بدوره يعدّ من مصاديق الدنيا وحبّها الذي يؤدّي إلى عواقب وخيمة، والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿**وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾، ﴿**كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى**﴾.

إنّ نقطة الانحراف الأساس والتي تنشأ منها كلّ العيوب هي الإفراط في اهتمام الإنسان بالدنيا، وتعلّق قلبه بها وابتغاؤها بصورة مستقلّة. هذه الرؤية والتعلّق ناشئان عن جهل الإنسان وقلّة بصيرته، لأنه لو عرف أنّ الدنيا ليست دار بقاء، بل ماهيّتها الانقضاء وأنّنا في حال تحرّك دائم فيها، ولا نتوقّف حتّى لحظة واحدة لا في النوم ولا في اليقظة ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى**﴾، لو كانت للإنسان مثل هذه الرؤية لم يتعلّق قلبه بالدنيا أبداً.

إذاً، ممّا ذكرنا نستنتج أنّ المشكلة ليست في الحياة الدنيا، بل في كيفيّة تعاملنا واستفادتنا منها، فالإخلاد إليها والرّضا بها هو المشكلة، وهو الذي يكون ضارّاً وخطيراً ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ**﴾. لذا يسأل الله تبارك وتعالى الناس ﴿**اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ !!!

علاج حبّ الدنيا

أمام هذا الواقع يرى العاقل أنّه لا بدّ من اجتناب حبّ الدنيا والتعلّق بها لأنّها "المهلكة طلابها، المتلفة حُلاّلها ، المحشوّة فالآفّات، المشحونة بالنكبات" ، كما قال إمامنا زين العابدين عليه السلام، والسبيل إلى ذلك يكون من خلال ثلاثة أمور:

الأوّل: أن يعرف أنّ الدنيا ليست هي الهدف ولا الغاية، وأنّ السعادة فيها زائلة وغير باقية ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ ، والأهمّ من ذلك عليه أن يتعرّف إلى الآثار السلبية المترتّبة على حبّ الدنيا، من العذاب والبعد والطّرد وغيرها... لعلها تردعه وتجعله يفكّر مليّاً قبل أن يقدم على هذه الحماقة.

الثاني: على الإنسان العاقل أن يتذكّر الموت دائماً، ويعتبر منه، ويحدّث نفسه به بالليل والنهار، لأنه أبلغ حقيقة، وأقوى برهان على أنّ الإنسان لم يُخلق لهذه الحياة الدنيا، ولا للبقاء فيها. سأل أحدهم الإمام الباقر عليه السلام: "حدّثني بما أَنتفع به
فقال: يا أَبا عبيدة: أَكثر ذكر الموت، فإنه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا" .

الثالث: عليه أن يصحّح نظرته إلى الدنيا، ويدرك أنّ حياته ليست محصورة بهذه الحياة، بل هناك حياة أخرى خالدة وراءها، وأن يكتشف العلاقة الواقعيّة بين الدنيا والآخرة، من خلال المقارنة بينهما ليدرك أنّ علاقة الدنيا بالآخرة هي علاقة الطريق والهدف، أو الوسيلة والغاية، فالدنيا "دار ممرّ لا دار مقر" كما قال مولى الموحّدين علي بن أبي طالب عليه السلام.

أمّا لو نظر إليها نظر إعجاب وافتتان بزينتها واتّخذها هدفاً نهائيّاً له، فسوف تكون رؤيته الخاطئة هذه منشأ للكثير من الأخطاء الفكريّة والسلوكيّة في المستقبل، لأنه اتّخذ الوسيلة هدفاً والطريق مقصداً. إنّ حال صاحب هذه الرؤية حال من يوفّر مستلزمات السفر إلى بلد ما لأداء عمل ما ضروريّ، ثمّ أثناء الطريق ينجذب إلى الخُضرة والمشاهد الجميلة حتى ينسى هدفه الأساس من الرحلة.

المفاهيم الرئيسة

١. الرّضا بالحياة الدنيا والتعلّق بها يحجب الإنسان عن الحقّ تعالى ولقائه.

٢. الحياة الدنيا وسيلة وأداة لنيل السعادة الأخرويّة، ولتحصيل الكرامات والمقامات السَّنيّة.

٣. منشأ حبّ الدنيا والاستغراق في ملذّاتها وشهواتها فيعود إلى أمرين أساسيّين: الأول رؤية الإنسان كماله في هذه الحياة الدنيا، والثاني الجهل بحقيقة ووظيفة الحياة الدنيا.

٤. الدنيا دنيا آن دنيا مذمومة ودنيا ممدوحة.

٥. ليس المقصود من حب الدنيا، حبّ الطبيعة أو حبّ الناس، بل المراد منها تعلّق القلب بهذه الأمور بحيث تشكّل عائقاً أمام ارتقاء الإنسان، وسفره نحو الآخرة والحقّ.

٦. الدنيا بنفسها غير مذمومة، بل انشغال الإنسان بها وغفلته عن الآخرة، ولقاء الله هو المذموم. فالذمّ يتوجّه أوّلاً إلى سلوك الإنسان لا إلى الدنيا بما في دنيا.

٧. للتخلّص من حبّ الدنيا لا بدّ: من معرفة حقيقة الغاية التي خلق من أجلها الإنسان، ومعرفة حقيقة الدنيا ودورها، وذكر الموت والاعتبار منه دائماً.

أسئلة الدرس

١. ***لماذا يعتبر حبّ الدنيا والتعلّق بها من الموانع الأساسيّة التي تصدّ عن لقاء الله تعالى؟***

....

....

٢. ***قيل إنّ الدنيا دنياءان، دنيا مذمومة ودنيا ممدوحة، ما الفرق بينهما؟***

....

....

٣. ***ما هو منشأ حبّ الدنيا وتعلّق القلب بها؟***

....

....

٤. ***ما هو السبيل للتخلّص من حبّ الدنيا وتعلّق القلب بها؟***

....

....

للمطالعة

أهل الآخرة

لا يخفى على كلّ ذي وجدان أنّ الإنسان، بحسب فطرته الأصيلة وجبلّته الذاتيّة، يعشق الكمال التامّ المطلق، ويتوجّه قلبه شطر الجميل على الإطلاق والكامل من جميع الوجوه. وهذا من فطرة الله التي فطر الناس عليها. وبهذا الحبّ للكمال، تتوفّر إرادة المُلك والملكوت، وتتحقّق أسباب وصول عشّاق الجمال المطلق إلى معشوقهم.

غير أنّ كلّ امرئ يرى الكمال في شيءٍ ما، حسب حاله ومقامه، فيتوجّه قلبه إليه. فأهل الآخرة يرون الكمال في مقامات الآخرة ودرجاتها، فقلوبهم متوجّهة إليها. وأهل الله يرون الكمال في جمال الحق، والجمال في كماله سبحانه يقولون ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا**﴾ ويقولون: "لي مَعَ اللّهِ حال" وفيهم حبّ وصاله وعشق جماله. وأهل الدنيا عندما رأوا أنّ الكمال في لذائذها، وتبيّن لأعينهم جمالها، اتّجهوا فطرياً نحوها.

ولكن على الرغم من كلّ ذلك، فإنه لمّا كانَ التوجّه الفطري والعشق الذاتي قد تعلّقا بالكمال المطلق، كان ما عدا ذلك من التعلّقات عرضياً، ومن باب الخطأ في التطبيق. إنّ الإنسان مهما كثر مُلكه وملكوته، ومهما نال من الكمالات النفسية أو الكنوز الدنيويّة أو الجاه والسلطان، ازداد اشتياقه شدّة، ونار عشقه التهاباً.

فصاحب الشّهوة، كلّما ازدادت أمامه المشتهيات، ازداد تعلّق قلبه بمشتهيات أخرى ليست في متناول يده، واشتدّت نار شوقه إليها. وكذلك النفس التي تطلب الرئاسة، فهي عندما تبسط لواء قدرتها على قطر من الأقطار، تتوجّه بنظرة طامعة

إلى آخر، بل لو أنّها سيطرت على الكرة الأرضية برمّتها، لرغبت في التحليق نحو الكرات الأخرى للاستيلاء عليها. إلّا أنّ هذه النفس المسكينة لا تدري بأنّ الفطرة إنّما تتطلّع إلى شيءٍ آخر.

إنّ العشـق الفطـري الجبلّـي يتّجـه إلى المحبوب المطلـق. إنّ جميع الحـركات الجوهريّـة والطبيعيّة والإراديّـة، وجميع التوجّهات القلبية والميول النفسـية تتوجّه نحو جمال الجميل الأعلى على الإطلاق، ولكنهم لا يعلمون، فينحرفون بهذا الحب والعشـق والاشتياق. التي هي براق المعراج وأجنحة الوصول . إلى وجهة هي خلاف وجهتها، فيحرّرونها ويقيّدونها بلا فائدة.

لقد بعدنا عن القصـد، وهو أنه لمّا كان الإنسـان متوجّهاً قلبيّاً إلى الكمال المطلق، فإنه مهما جمع من زخرف الحياة، فإنّ قلبه يزداد تعلّقاً بها. فإذا اعتقد أنّ الدنيا وزخارفها هي الكمال ازداد ولعه بها، واشتدّت حاجته إليها، وتجلّى أمام بصره فقره إليها.

بعكس أهل الآخرة الذين أشاحوا بوجوههم عن الدّنيا، فكلّما ازداد توجّههم نحو الآخرة، قلّ التفاتهم واهتمامهم بهذه الدنيا، وتلاشت حاجتهم إليها، وظهر في قلوبهم الغِنى، وزهدوا في الدنيا وزخارفها. كما أنّ أهل الله مستغنون عن كلا العالمين (الدنيا والآخرة)، متحرّرون من كلتا النشأتين وكلّ حاجتهم نحو الغنيّ المطلق، متجلّياً الغِنَى بالذات في قلوبهم، فهنيئاً لهم.

الإمام الخميني قدس سره

١٨

الدرس الثامن عشر

التوبة

الدرس الثامن عشر

التوبة

أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى فلسفة التوبة.

٢. أن يتعرّف إلى حقيقة التوبة وضرورتها.

٣. أن يحدِّد أركان وشرائط التوبة.

٤. أن يتعرّف إلى ما يجب التوبة منه وكذلك ثمار التوبة.

تمهيد

إنَّ أفضل طريق للتزكية هو عدم التلوّث بالمعصية من أساس، يقول الإمام عليّ عليه السلام: "ترك الذنب أهون من طلب التوبة".

لكن لو فرضنا أنَّ الإنسان ابتلي بالمعصية، فيجب ألّا ييأس من رحمة الله تعالى، لأنَّه قد فتح لعباده باب التوبة، فالتوبة: هي من المهذِّبات للنفس، وهي الوسيلة لغسل النفس من قذارات الذنوب، وهي عبارة عن وسيلة جعلها الله سبحانه برحمته لعباده الخطّائين سبيلاً للتخلّص من تبعات أعمالهم السيّئة يوم الحساب وهي عبر التصميم على اجتناب الذنوب والمعاصي، والندم عليها مع الحذر الشديد من الشيطان واغراءاته، الذي يدعونا باستمرار للإستهانة بالمحرَّمات والمعاصي والعودة إليها، وقد شجَّع الإسلام على التوبة، وحذَّر من اليأس من رَوْح الله سبحانه الذي هو من كبائر الذنوب التي توجب غضب الله تعالى وعقابه، بقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾.

فلسفة التوبة

إنَّ الذي عصى في هذه الدنيا وتحدَّى إرادة الله سبحانه، يكون قد ابتعد عن مقام الإنسانيّة واقترب من مقام الحيوانيّة، وعندئذٍ يحرم هذا الإنسان من بركات القرب من الله في الجنّة، ولا يبقى أمامه سوى التوبة والاستغفار، والذي أمر بالتوبة هو الذي يقبل التوبة، يقول تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾.

ضرورة التوبة

إذا كنَّــا نــدرك تلك الآثار الخطيرة للذنوب في الدنيا والآخــرة، كأن تنزل النقم وتحبس النعم وتمنع الــرزق وتجرّنــا إلى العذاب الأليم، فإنَّ العاقل المؤمن بالمعاد وبربِّ العبــاد، لا بدّ أن يبادر إلى إعلان توبته، وتطهير نفســه حتّى لا يكون محروماً في الدنيا وشــقيّاً في الآخرة، وإنَّ التوبة من الذنوب تؤدّي إلى تطهير القلوب.

عن أبي جعفر عليه السلام: "ما من عبدٍ إلّا وفي قلبه نكتة بيضــاء، فإذا أذنب خرج في النكتة نكتة ســوداء، فإن تاب ذهب ذلك الســواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك الســواد حتّى يغطّي البياض، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قول الله: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ .

وعن الإمام الباقر عليه السلام: "التائب من الذنب كمن لا ذنب عليه" .

حقيقة التوبة وشروطها

إنَّ النــدم على الذنب هو توبة، لكن المقصــود هــو الندم الحقيقيّ، الذي يكون لــه آثاره ونتائجه على المســتوى العملــيّ، قد يتصــوّر البعض أنَّ مجــرَّد قوله "تبت إلى الله" أو "أســتغفر الله" يكفي لتحقّق التوبة، وهو غير صحيح لأنَّ التوبة لها شروط لا تتحقَّق إلّا بها وهي:

١. أن يشعر بالنفور من ذنبه وتغلِبه الحسرة عليه.

٢. أن يصمِّم على عدم العودة إلى الذنب مجدَّداً.

٣. أن يســعى لجــبران ما أمكن جبرانه، كأن يــؤدّي حقَّ أحد من النـاس كان قد غصــبه حقَّه، أو أن يطلب المسامحة ممّن استغابه، أو أن يُرضي من ظلمه، أو أن يقضي ما فاته من فرائض وواجبات، كالصلاة والصوم، وهكذا..

قــال الإمــام عليّ عليه السلام بعد أن ســمع رجلاً يقول اســتغفر الله: "ثكلتك أمُّك، أتدري ما الاســتغفار؟ الاســتغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ســتة معان، أوّلها: الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقّهم حتّى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيَّعتها فتؤدّي حقّها، والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على الســحت فتذيبه بالأحزان، حتّى يلصــق الجلد بالعظم وينشــأ بينهما لحم جديد، والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: استغفر الله" .

الأمور التي يجب التوبة منها

يجب على الإنسـان أن يتوب من كلّ ما يحول بينه وبين السـير والسـلوك إلى الله تعالى، يجعله متعلّقاً بالدنيا، ويمكن تقسيم الذنوب التي يجب أن نتوب منها إلى قسمين: أخلاقيَّة وعمليَّة:

١. **الذنوب الأخلاقيّة:** والمراد بها الأخلاق السـيّئة والصـفات القبيحة، التـي تلوّث النفس وتجعل الحجـب بينها وبين الله تعالى، كالرياء، والنفاق، والغضـب، والتكبّر، والعجب، والمكر، والخداع، والغيبة، والبهتان، والكذب، وخلف الوعد،

وعقوق الوالدين، وقطع الرحم، وحب الدنيا، واليأس من روح الله، والأمن من مكره سبحانه، والحسد، وسوء الظنّ، وغير ذلك من الصفات السيّئة.

٢. **الذنوب العمليَّة:** وهي كلّ الذنوب التي ترتبط بالأعمال كالسرقة، وقتل النفس، والزنا، والتعامل بالربا، وغصـب أموال الناس، والتبذير والإسـراف، والفحش، والسـباب، وتتبّـع عيوب الناس، واحتقار المؤمن وإذلاله، والغشّ في المعاملة، والفرار من الجهاد، وخيانة الأمانة، وشـرب الخمر، وترك الصـلاة والصيام والحجّ والخمس، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكل الطعام النجس وغير ذلك من المحرّمات.

ثمار التوبة

للتوبة ثمار جليلة في الدنيا وفي الآخرة أهمّها:

١. **تكفير السيّئات ودخول الجنّة:** إنَّ التوبة تؤدّي إلى إزالة سـيّئات الإنسـان من صـحيفة أعماله، يقول تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾**.

٢. **محبّة الله:** إنَّ التائب الحقيقيّ سـوف يحصـل على محبّة الله تعالى وينـال رضاه، يقول تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** .

٣. **السـتر:** إنَّ توبـة العبـد تؤدّي إلى السـتر عليه، فيأتي يـوم القيامة لا يُدرى بذنبـه، يقول الإمام الصـادق عليه السلام: "إذا تاب العبد توبةً نصـوحاً أحبَّه الله فسـترَ عليه، فقلت: وكيف يسـتر عليه؟

قال: ينســي ملكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقى الله عزَّ وجلَّ حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب" .

خلاصة الدرس:

١. أفضل سبيل للتزكية عدم المعصية.

٢. فلسفة التوبة أنّها تفتح باباً للرحمة والقرب من الله سبحانه.

٣. حقيقة التوبة الندم الذي يستلزم ترك الذنب وتأدية الحقوق.

٤. من يدرك خطورة الذنب لا بدّ أن يقدم على التوبة.

٥. مـا يجـب التوبة منه ليس فقـط الذنوب العمليّة كالســرقة وقتل النفس والزنا. بل أيضـاً الذنوب الأخلاقيّة والرياء والنفاق والغضب.

٦. للتوبة ثمار كثيرة، منها تكفير السيّئات وتبديلها إلى حسنات ومحبّة الله والستر و..

للمطالعة

مالك بن دينار

جاء في (تفسير روح البيان) عن مالك بن دينار، أنَّه سُئل عن سبب توبته وتوجّهه إلى الله عزَّ وجلّ، فأجاب:

"كنت في مطلع العمر قاسياً، شارباً للخمرة، وكانت لديَّ جارية قد تعلَّقت بها، ورزقني الله منها ابنة، وكانت محبَّتها تزداد في قلبي يوماً بعد يوم، ولمّا أصبحت قادرة على المشي كانت محبَّتها قد بلغت عندي مبلغاً كبيراً، وكانت تألفني وتأنس بي كثيراً، كما كنت أبادلها الألفة والأنس.

كانت كلّما تناولتُ كأس الشراب أخذتها من يدي وسكبت ما فيها على ثيابي، ولمّا بلغت عامين من عمرها ماتت، فملأت قلبي الغصص المرَّة على فقدها، ولم أستقرّ من يومها على حال.

وفي ليلة جمعة من ليالي شعبان، تناولت الشراب ونمت دون أن أصلّي العشاء، فرأيت فيما يراه النائم أنَّ أهل القبور خرجوا من قبورهم، وحشروا جميعاً وأنا معهم. وفجأةً سمعت من ورائي صوتاً، وحين استدرت رأيت أفعى سوداء كبيرة، لا يمكن تصوّر ما هو أكبر منها، وكانت تتّجه نحوي بسرعة وفمها مفتوح، أصابني الهلع والخوف، فانطلقت هارباً، لكنّها اندفعت خلفي بسرعة كبيرة.

لقيت في طريقي شيخاً مسنّاً حسن الوجه والرائحة، حيّيته فردَّ تحيّتي، رجوته أن يغيثني ويحميني، فأجاب: يؤسفني أنّي لا أقدر على شيء أمام هذه الأفعى، فاذهب من هنا بسرعة، لعلّ الله يهيّىء لك أسباب النجاة.

فعدت إلى الهرب بسرعة، حتّى بلغت منزلاً من منازل القيامة، ورأيت من هناك طبقات جهنَّم وأهلها، وكدت من شدّة خوفي من الأفعى أن ألقي بنفسي فيها.
ارتفع صوت حادّ يقول: هيا ارجع، فلست من أهل هذا المكان.

سكن قلبي بعد سماعي لهذا الصوت، وعدت أدراجي، ورأيت أن الأفعى ما زالت تلاحقني، حتّى وصلت إلى ذلك الشيخ، فقلت له: أيّها الشيخ الطيب، لقد رجوتك أن تغيثني فلم تأبه لي، بكى الشيخ

وقال: لم أستطع. ولكن اذهب نحو هذا الجبل، ففيه أمانات للمسلمين، فإن كانت لك فيه أمانة فإنَّها ستمدّ لك يد العون.

تطلّعت إلى الجبل فرأيت فيه غرفاً وحجرات قد أسدلت عليها الستائر، وأبوابها من الذهب الأحمر المحلَّى بالدرّ والياقوت، فأسرعت نحو ذلك الجبل، والأفعى في أثري، وما إن اقتربت منه حتّى ارتفع صوت ملائكي يقول:

ارفعوا الستائر وافتحوا الأبواب واخرجوا، فلعلَ لهذا المسكين أمانة بينكم، تغيثه من شرّ الأعداء.

نظرت فرأيت أطفالاً وجوههم تشعّ كالبدور، يخرجون إليَّ، والأفعى أضحت قريبة منّي كذلك، وأنقذني من حيرتي صراخ الأطفال وهم يقولون: عجّل، فالعدوّ قريب منك!

وبدأوا يتوافدون نحوي فوجاً إثر الآخر، وفجأةً رأيت ابنتي التي توفّيت بينهم، فما أن رأتني حتّى صاحت وهي تبكي:

إنَّه أبي والله!

ثمَّ سارعت فأخذت يمناي بيسراها، بينما أشارت بيمناها إلى الأفعى، فاستدارت الأفعى وانطلقت هاربة.

ثمَّ أجلستني وجلست إلى جانبي، وراحت تداعب لحيتي، وقالت:

أي أبه، ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ ؟ فبكيت. وقلت:أي بنيّة، وهل تحسنين تلاوة القرآن المجيد؟!

قالت: نحن بالقرآن أكثر معرفة منكم يا أبي.

قلت: أخبريني عن هذه الأفعى، ما قصَّتها؟

قالت: إنَّها عملك السيّء يا أبي، فقد كنت تعطيها القوّة، وكانت تريد أن تبعث بك إلى جهنّم.

قلت: وهذا الشيخ المسنّ،من هو؟

قالت: إنّه عملك الحسن، وقد كنت تعمل على إضعافه (أي فاق عملك السيّء عملك الحسن) فلم يستطع مدّ يد العون إليك أمام عملك السيّىء.

قلت: وماذا تعملين يا ابنتي في هذا الجبل؟

قالت: نحن أطفال المسلمين، الذين قدمنا من الدنيا في طور الطفولة إلى هذا المكان، وقد أقرَّنا الله عزَّ وجلّ فيه إلى يوم القيامة، وأعيننا على الطريق الذي يسلكه آباؤنا وأمهاتنا إلينا، فنشفع لهم.

وهنا استيقظت من نومي فزعاً، وتركت شرب الخمرة وغيرها من الذنوب كلِّياً، وتوجّهت إلى الله نادماً تائباً. وهذا هو سبب توبتي".

<u>السيد دستغيب، القلب السليم، ج٢، ص ١٨-٢١.</u>

١٩

الدرس التاسع عشر

كتمان السر ١

الدرس التاسع عشر

كتمان السرّ ١

أهداف الدرس:

١. أن يدرك الطالب أهميَّة كتمان السرّ.

٢. أن يحذر من أخطار إفشاء الأسرار على الأشخاص والمسيرة.

٣. أن يعمل على اكتساب ملكة كتمان السرّ وقلّة الكلام.

تمهيد

إنَّ كتمان السرّ من قضايا الأخلاق العمليّة، التي ينبغي أن لا يُغفل عنها وعن أهميَّتها، من قِبَلِ المؤمنين الذين يهتمُّون بتربية أنفسهم وتزكيتها على مكارم الأخلاق.

إنّ كلّ سرّ يؤدّي إفشاؤه إلى مفسدة، سواء على المستوى الفرديّ، أم الاجتماعيّ، فهذا السرّ يجب كتمانه من باب حرمة الإضرار بالنفس أو الآخرين أو إيذائهم، فلا يعطى هذا السرّ إلى من يمكن أن تترتّب على إعطائه له تلك المحاذير، ولا ريب في كون هذا الأمر سوف يؤدّي إلى المساعدة على نجاح المؤمنين في أعمالهم العامّة الاجتماعيّة والدينيّة، ممّا يؤدّي إلى توفير كثير من الأجواء والإمكانيّات والعوامل التي تساعد الكثيرين على الأخذ بسبيل التديّن، ما يعني التوجّه نحو بناء النفس وتهذيبها والسير في طريق القرب الإلهيّ.

عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: "يُحشرُ العبدُ يومَ القيامةِ وما ندى دماً فيُدفعُ إليهِ شبهُ المحجمة أو فوق ذلك. فيُقالُ لهُ: هذا سهمُكَ من دم فلان، فيقولُ: يا رب إنك لتعلمُ أنَّك قبضّتني وما سفكتُ دماً، فيقول: بلى سمِعتَ من فلان رواية كذا وكذا، فرويتَها عليه، فَنُقلتَ حتى صارت إلى فلان الجبَّار فقتلهُ عليها وهذا سهمك من دمه" .

أهميّة الكتمان

أعطى المعصومون عليهم السلام للكتمان اهتماماً خاصّاً، فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان" ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "سرّك أسيرك، فإن أفشيته صرت أسيره" .

وعنه عليه السلام أيضاً: "جمع خير الدنيا والآخرة في كتمان السرّ ومصادقة الأخيار، وجمع الشرّ في الإذاعة ومواخاة الأشرار" .

موارد الكتمان

توجد موارد كثيرة لكتمان السرّ، منها ما يتعلّق بالجانب الشخصيّ والعائليّ، ومنها ما يرتبط بالجانب السياسيّ والاقتصاديّ، ومنها ما يرتبط بالجانب الدينيّ:

أ- **الجانب الشخصيّ والعائليّ**: ففيما يرجع إلى حياة الإنسان اليوميّة والعائليّة، والتي تبقى على حفظ بعض الأسرار الخاصّة، والخاضعة للتبدّل والتغيّر، فمن كتم سرّه أمكنه تجنب الأخطاء. فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: "من كتم سرّه كانت الخيرة بيده".

ب- **الجانب السياسيّ والاقتصاديّ**: وهو خاصّ بالعاملين في هذا المجال، وعليهم التحرّز من إفشاء أيّ معلومة يمكن لها أن تضرّ بمصالح المسلمين.

ج- **الجانب الأمنيّ والعسكريّ**: ولعلّه أكثر الموارد أهميّة لكتمان السرّ، لأنّ العدوّ يستفيد من المعلومات المفشاة بسرعة، ويلحق الضرر بالمسلمين.

د- **الجانب الدينيّ**: وهذا يرتبط بإفشاء بعض أسرار الدين، ممّا قد يستغلّه الأعداء للتشنيع على الدين والمسلمين.

عمَّن نكتمْ السرّ؟

إنَّ كتمان السرّ يجب أن يكون عن:

١. **الأعداء**: ومنهم المنافقون، فعن الإمام عليّ عليه السلام: "كن من عدوّك على أشدّ الحذر".

وعنه عليه السلام: "لا تشاور عدوّك واستره خبرك".

٢. **الأصدقاء**: الذين لا مصلحة ضروريّة في معرفتهم بالسرّ.

فعن الصادق عليه السلام: "لا تطلع صديقك من سرّك إلَّا على ما لو اطَّلع عليه عدوّك لم يضرّك، فإنَّ الصديق قد يكون عدوّاً يوماً ما".

وعن عليّ عليه السلام: "ليس كلّ مكتوم يسوغ إظهاره لك، ولا كلّ معلوم يجوز أن تعلمه غيرك".



٢٠

الدرس العشرون

كتمان السر ٢

الدرس العشرون

كتمان السرّ ٢

فوائد كتمان السرّ

لكتمان السرّ فوائد عديدة تربويّة وعملانيّة نشير إلى بعضها:

١. **إنَّـه عامـل مهـمّ في تحقيـق النصر:** فعن علـيّ عليه السلام: "الظفر بالحزم، والحـزم بإجالة الرأي، والـرأي بتحصـين الأسـرار" . كما أنَّ انتشـار السـرّ فيه مخاطـر عديدة، فقد جـاء عن الإمام الصـادق عليه السلام في تفسـير قوله تعالى: ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ أنَّه قال: "أما والله ما قتلوهم بأسيافهم ولكن أذاعوا عليهم وأفشوا سرّهم فقُتلوا" .

٢. **الحفـاظ علـى التـوازن المعنويّ للمجتمع:** لأنَّ إفشـاء الأسـرار قد يـؤدّي إلى إيجاد حالات من البلبلـة في المجتمـع، يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ .

دوافع إفشاء السرّ

توجد دوافع كثيرة لإفشاء السرّ منها:

١. الجهل، وعدم الوعي بعواقب الأمور، والثقة العمياء بالآخرين، أو الضعف في تقوى الله عزّ وجلّ، فقد ذكرنا أنَّ إفشاء السرّ قد يترتّب عليه أمور عديدة هي في واقعها حرام كالإضرار بالآخرين، والإيذاء وهتك الحرمات. وهذه الأمور فيما لو حصلت والعياذ بالله، سيكون من نتائجها الابتعاد عن ساحة القرب الإلهيّ، وملء صحيفة الأعمال بأشدّ الذنوب التي تسوّد القلب وتسخط الربّ.

من هنا كان على الإنسـان المؤمن الذي يهتمّ بتربية نفسـه، وبناء شخصـيّته، أن يراعي مسألة حفظ اللسـان عن المحرّمات، والتي من أبوابها عدم مراعاة كتمان السـرّ، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى بعض موارده حيث قال: "لا ترموا المؤمنين ولا تتبّعوا عثراتهم، فإنَّ من يتّبع عثرة مؤمن يتّبع الله عزّ وجلّ عثرته، ومن يتّبع الله عزّ وجلّ عثرته يفضحه في بيته" .

٢. زلة اللسان، وهناك سبب آخر لإفشاء الأسرار لا بد من الإشارة إليه وهو زلّة اللسان: فلا يكون المتكلّم قاصداً لأن يفضح أمراً ما، أو سرّاً من الأسرار، ولكن هذه الزلّة تكون قاتلة في كثير من الأحيان، ولذا بيّن أمير المؤمنين علي عليه السلام الخطر الكبير لزلّات اللسان بقوله: "المرءُ يعثر برجلهِ فيبرأ (يشفى)، ويعثر بلسانه فيُقطعُ رأسُهُ. احفظ لسانك فإنَّ الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فإن أطلقها صار أسيراً في وثاقها".

عواقب إفشاء السرّ

يلجأ البعض منّا في كثير من الأحيلان إلى إفشاء الأسرار نتيجة عوامل نفسية وتربوية نذكر منها:

١. **الثرثرة:** وهي كثرة الكلام بغير فائدة، وكثيراً ما تؤدّي إلى كشف الأسرار وفضح ما هو مستور، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: "إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن، ويحرّك عليك من أعدائك ما سكن"، وعنه: "الإكثار (إكثار الكلام) يذّل الحكيم".

٢. **حب الظهور:** قد يلجأ البعض ورغبة منه في إظهار نفسه إلى الكشف عن معلومات سرّية إن لم نقل خطيرة، ليقول أصدقائه عنه أنّه يعرف أسراراً لا يعرفها غيره ولكي يُشار إليه بالبنان، وبهذا يحقق رضا نفسه ويشبع غروره ويشعر بمكانته وخصوصيته بينهم.

٣. **التساهل والاستهتار:** اللذين يؤدّيان إلى الافصاح عن معلومات نظنّ أنّها متداولة بين الناس ومعروفة للعدو، وبالتالي لا ضرر من التحدّث بها واذاعتها في أي مكان.

٤. **الحقد والحسد:** أحياناً يلجأ شخص ما وبسبب كرهه لشخص آخر وحقده عليه إلى الكشف عن تفاصيل تتعلق بعمله وحياته طمعاً في النيل منه وإلحاق الضرر به.

٥. **الاستفزاز:** كثير من الأشخاص وخاصّة البسطاء منهم لا يحتاجون سوى لاستفزاز بسيط حتى يسردوا الكثير من الوقائع والمعلومات لتأكيد فكرتهم وصوابهم وعلمهم بالأمور. ويكفي أن نقول لأحدهم "إنك لا تعرف شيئاً"، حتى يقول كل ما عنده من الألف إلى الياء.

كتمان الأسرار وإفشاؤها في أحاديث المعصومين عليهم السلام

لقد ركّز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام على مسألة حفظ الأسرار وعدم إفشائها، وذلك حفظاً لدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم من جهة، ولحسن سير عملهم وتنظيم أمورهم من جهة أخرى. لذلك نرى في الأحاديث شدّة وقسوة مع من يكشف سراً لأحد من شيعة علي عليه السلام، وترغيباً بحفظ الأسرار وكتمانها لنجاح الأعمال وقضاء الحوائج.

وقد وردت عدّة عواقب لمن يفشي أسرار الشيعة، نذكر منها:

١. **<u>الذّلة من الله:</u>** فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: "أن أمرنا مستورٌ مُقنَّعٌ بالميثاق، فمن هَتَكَ علينا أذلَّهُ اللّه".

٢. **<u>اعتباره قاتلاً عامداً:</u>** فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: "ما قتلنا من أذاع حديثنا قَتلَ خطأ، ولكن قَتَلَنا قَتلَ عَمدٍ".

٣. **<u>اعتباره خائناً:</u>** فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: "افشاء سر أخيك خيانة".

وفي مقابل هذه العواقب حثّ المعصومين عليهم السلام على كتمان الأسرار وعدم إفشائها.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: "كتمان سرّنا جهاد في سبيل الله".

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: "واللّهِ، إنّ أحبَّ أصحابي إليّ أورعُهُم وأفقَهُهُم وأكتمُهُم لحديثِنا".

وورد عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: "طوبى لكُلِّ عبدٍ نُومَةٍ (الذي لا يدري الناس ما في قلبه) لا يُؤبَهُ لَهُ، يعرِفُ الناس ولا يعرِفُهُ الناسُ، يعرفُه اللّهُ منه برضوانٍ، أولئك مصابيح الهُدى".

خلاصة الدرس:

١. يجب كتمان السرّ عن كلّ من يؤدّي إفشاؤه أمامه إلى مفسدة.

٢. كتمان السرّ من أهمّ مواصفات الإنسان المتّقي.

٣. أكّدت الآيات والروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام كثيراً على ضرورة كتمان الأسرار العسكريّة والأمنيّة وغيرها.

٤. لكتمان السرّ فوائد كثيرة، منها أنَّه يساعد على تحقيق النصر وعلى حفظ التوازن المعنويّ في المجتمع.

٥. توجد دوافع عديدة لعدم مراعاة كتمان السرّ أهمّها ضعف الجانب التقوائيّ في الشخصيّة.

للمطالعة

فتح مكّة

عن محمّد بن جبير بن مطعم في قصّة فتح مكّة قال: لمَّا ولَّى أبو سفيان راجعاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة: جهّزينا وأخفي أمرك! وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اللّهم خذ على قريش الأخبار والعيون حتّى نأتيهم بغتة".

ويقال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: "اللّهم خذ على قريش أبصارهم فلا يروني إلَّا بغتة، ولا يسمعون بي إلَّا فجأة". قالوا: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأنقاب، فكان عمر بن الخطاب يطوف على الأنقاب قيّماً بهم فيقول: لا تدعوا أحداً يمرّ بكم تنكرونه إلَّا رددتّموه، وكانت الأنقاب مسلمة، إلَّا من سلك إلى مكّة فإنَّه يتحفّظ به ويسأل عنه أو ناحية مكّة.

قالوا: فدخل أبو بكر على عائشة وهي تجهّز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تعمل قمحاً سويقاً ودقيقاً وتمراً، فقال: يا عائشة، أهمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغزو؟ قالت: ما أدري.

قال: إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم همَّ بسفر فأذنينا نتهيّأ له.

قالت: ما أدري. لعلَّه يريد بني سليم، لعلّه يريد ثقيفاً. لعلّه يريد هوازن! فاستعجمت عليه حتّى دخل رسول اللّه ﷺ فقال له أبو بكر: يا رسول اللّه، أردتَ سفراً؟ قال رسول اللّه ﷺ: نعم. قال: أفأتجهز؟ قال: نعم. قال أبو بكر: وأين تريد يا رسول اللّه؟ قال: قريشاً، وأخفِ ذلك يا أبا بكر! وأمر رسول اللّه بالجهاز، قال: أوليس بيننا وبينهم مدَّة؟ قال: إنّهم غدروا ونقضوا العهد، فأنا غازيهم. وقال لأبي بكر: أطوِ ما ذكرتُ لك! فظانٌّ يظنّ أنَّ رسول اللّه ﷺ يريد الشام. وظانٌّ يظنّ ثقيفاً، وظانٌّ يظنُّ هوازن.

ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص٢٦٥.